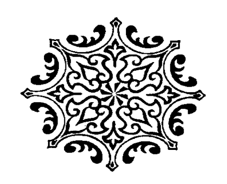
من تراث الإمام الرازي

مناظرة قسيس خوارزم

شيخ الإسلام

الإمام فخر الدين الرازى

٥٤٤ هـ - ٦٠٦ هـ



تقديم وتحقيق

الدكتور
أحمد حجازى السقا

الأستاذ
صفوت جودة أحمد



رقم الايـــداع : ٢٠٠٧/٢٥٠٣٣
الترقيم الدولى : ٢-١٨-٦١٧٧-٩٧٧

الأخراج الفنى والطباعة : **مطبعـــة التقـــوى**
012 2777965

دار الخلود للتراث
٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة
☎ ٢٥٩١٩٧٢٦ - فاكس ٠١٨١٦٠٧١٨٥





التعريف بالمناظرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي خاتم النبيين، وعلي آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بخير وإحسان إلي يوم الدين.

أما بعد

فإن شيخ الإسلام محمد بن عمر المتوفَّي سنة ٦٠٦ هـ قال في تفسيره الكبير للقرآن الكريم المسيمَّي بمفاتيح الغيب: «اتَّفق أني حين كنت بـ «خوارزم» أني أُخبرتُ أنه جاء نصراني، يدَّعي التحقيق والتعمُّق في مذاهبهم؛ فذهبتُ إليه، وشرعنا في الحديث».

وقال مؤلف «عيون المناظرات» أبو علي عمر السكوني. المتوفَّي سنة ٧١٧ هـ «قال صاحب «نهاية العقول» في تفسيره الكبير: اتفق أني حين كنتُ بـ «خوارزم» أني أُخبرت أنه جاء نصراني، يدعي التحقيق والتَّعمق في مذاهبهم؛ فذهبتُ إليه، وشرعنا في الحديث».

وقد ذكر شيخ الإسلام في تفسيره طرفا من تلك المناظرة.

وقال الدكتور عبد المجيد النجار: إن الأستاذ نجم عبد الرحمن خلف. أراه مخطوطا بعنوان: «سؤال النصراني للرازي» وفي أوَّله بعد البسملة: «قال الشيخ الإمام الأوحد العلاَّمة فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازي ـ قدَّس الله روحه ـ: أنه جاء نصراني من أكابر علماء دين النصرانية، يدعي التحقيق والتقرير لدينه؛ فذهبتُ إليه وشرعنا في الحديث».

وأهم القضايا التي دار فيها الحوار بين الطرفين ما يلي:

١ - دعوي ألوهية عيسي - عليه السلام - ونقضها .

٢ - صدق نبوة محمد ﷺ .

٣ - دعوي أفضلية عيسي علي محمد ونقضها .

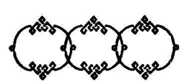
٤ - دعوي التشبيه والتجسيم عند المسلمين، والرد علي ذلك .

٥ - ادعاء الغموض في التعاليم الإسلامية، واتهام الصحابة - رضى الله عنهم - بالتقصير، لعدم استفسارهم لإزالة الغموض، ونقض ذلك .

٦ - ادعاء أن الإسلام انتشر بالسيف، والرد عليه .

٧ - شبهة أن المسلمين اختلفوا في فهم الإسلام، وكفَّر بعضهم بعضا؛ يؤول إلي نقض الإسلام أساسا، والرد علي ذلك .

وقد استحسنا إظهارها، والتقديم لها؛ لتقوية إيمان المسلمين؛ ولمساعدة أهل الكتاب علي الدخول في دين الإسلام .



بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالإمام / فخر الدين الرازي

صاحب كتاب المناظرة

المولود: ٥٤٤هـ - ١١٥٠م

المتوفى: ٦٠٦هـ - ١٢١٠م

اسمه : أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي، البكري، الطبرستاني، الرازي، الملقب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعي.

مولده : ولد في الري سنه (أربع وأربعين وخمسمائة من الهجرة) وإليها نسبته ويقال له « ابن خطيب الري » رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة.

مكانته العلمية:

رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان في سبيل العلم ونشره والذود عن الدين المعروف في عصره والدفاع عن حماه بالحجة والبرهان.

وكان العلماء يقصدونه من البلاد ويشدون إليه الرحال، ثم استقر في هراة، وكان درسه حافلا بالأفاضل من الملوك والعلماء والوزراء والأمراء والفقراء والعامة لا يمنعهم برد الشتاء ولا وابل السماء وكان أينما ذهب لقي التعظيم والإجلال، وبنيت له المدارس ليلقي فيها دروسه، وعظاته، وكان أهالي هذه البلاد ينتظرون مقدمة كما تنتظر الأرض المجدبة الغيث.

إقدامه وورعه وثراؤه:

كان رحمه الله شديد الوطأة على الخوارج والطوائف المارقة من الدين فاضلهم وناظرهم وقهرهم وأفحمهم وكانت له حالات إذا استوى للوعظ تدل على رقة قلبه

وشدة تأثره، وكان يتأثر فيؤثر ويبكى فيبكى . أقبلت عليه الدنيا، وكانت له فيها ثروة طائلة بسبب مصاهرته لطبيب ثرى من أطباء الرى حيث زوج ابنيه من ابنتى الطبيب، ومات الطبيب فاستولى فخر الدين على كل ماله ولم يكن هذا مصدر غناه الوحيد، فقد كان اتصاله بالملوك والأمراء مصدراً آخر لغناه، ومع ذلك فقد عرف فى ذلك المال حق الله وحق الفقراء.

تفوقه فى الوعظ والتأليف:

وقد كان أهل عصره معجبين به أشد الأعجاب لما اشتهر به من القدرة على الدفاع عن الدين فى عصره لم يعرف العالم من علمائه مواقف رائعة فى الوعظ والدفاع فقد كان يعظ باللسانين العربى والعجمى إذ كان يجيد الفارسية تكلما وتأليفا فهدى الله به كثيرا من الطوائف الزائفة، وإن حق كان أهل الحديث والسلفيون فى عصره خصماءه ويردون عليه أشد الرد.

مؤلفاته:

اشتهرت مصنفاته فى الآفاق وأكب الناس عليها وانصرفوا عن كتب المتقدمين.

١ ـ أساس التقديس فى علم الكلام.

٢ ـ محل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين.

٣ ـ المسائل الخمسون فى أصول الكلام.

٤ ـ مفاتيح الغيب. وهو المشهور بالتفسير الكبير.

٥ ـ مناقب الإمام الشافعى.

٦ ـ المحصول فى أصول الفقه.

٧ ـ نهاية العقول.

٨ - تعجيز الفلاسفة بالفارسية .

٩ - نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز فى علوم البلاغة وبيان إعجاز القرآن الشريف .

١٠ - أسرار التنزيل .

١١ - كتاب فى التوحيد .

١٢ - المطالب العالية من العلم الألهى .

١٣ - الأربعين فى أصول الدين .

١٤ - الفراسة والبيان والبرهان . إلى غير ذلك من الكتب القيمة والنافعة .

وفاته:

توفى رحمه الله يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ بمدينة هراة ودفن فى الجبل المقابل لقرية مزداخان بضم الميم وسكون الزاى وفتح الدال .

منفلوط
يوم الجمعة ١٧ صفر ١٤١٩ هـ
١٢ يونيه ١٩٩٨ م
صفوت جوده أحمد



مقـــدمـــات

اولا : دين موسى عليه السلام

أصله - وتطوّره

إبراهيم النبى عليه السلام أنجب إسحق. وإسحق أنجب يعقوب - المسمَّي أيضا بإسرائيل - ويعقوب أنجب لاوِي . ولاوي أنجب قَهَات. وقهات أنجب عمران، وعمران أنجب هارون وموسي - عليهما السلام.

وقد أعطي الله عبدَه ونبيَّه موسي كتاب التوراة. فيه أحكام الحلال والحرام، وبيان العقائد والأخلاق. وأمره هو ومن اتَّبعه من قومه، ومن الأُمم بالجهاد في سبيل الله؛ لمحو عبادة الأوثان من العالم.

وقام موسي وبنو إسرائيل بالإسلام خير قيام. ففتحوا البلاد، ونشروا الدين وعلَّموا العلم، وبنوا المساجد، إلي زمان السبي البابلي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد. وفي حكم السبي البابلي اتفق بنو إسرائيل علي تغيير شريعة موسي؛ لتكون لهم من دون الناس. وغيّروها ولبسوا فيها الحق بالباطل؛ وحرفوا فيها الكلم من بعد مواضعه. وما تزال التوراة إلي هذا اليوم علي النحو الذي تم في «بابل» فالتوراة من عهد موسي النبي عليه السلام إلي عهد السبي البابلي. كانت صحيحة. ثم حدث فيها تطور. وذلك بتحريفها في بابل. وبقي التحريف إلي هذا اليوم. ومن عهد موسي إلي السبي البابلي. كان الدين الخالص لليهود وللأمم هو الإسلام على وفق شريعة موسي. ومن السبي إلي هذا اليوم لم يكن الدين خالصا . فقد جعله اليهود دينا خاصا ببني إسرائيل من دون الناس.

ولما حرفوا التوراة في بابل؛ أرسل الله تعالي عبده ونبيه عيسي بن مريم عليه السلام ليمحو التطور الذي ابتدعه اليهود في التوراة وهم في «بابل» وليرجع اليهود إلي الأصل. إلي الدين كما تركه موسي عليه السلام. والذين اتَّبَعُوه وصدقوا بكلامه، وآمنوا بدعوته، كانوا علي الإسلام الذي كان عليه بنو إسرائيل من قبل سبي بابل.

وكان يُطلق عليهم اسم المسلمين. وكان يُطلق علي دينهم اسم دين الإسلام، علي وِفق شريعة موسي عليه السلام. ويقابلهم اليهود الذين ظلوا علي التوراة المحرفة. لكن عيسي لم يغير التوراة إلي النص الأصلي الذي تركه موسي. واكتفي بإظهار التصحيح شفهيا، وتدوينا في إنجيله.

وفي سنة ٣٢٥ ميلادية. انتكس دين موسي مرة ثانية ليس بالتحريف فقط، بل بالإلغاء الكلي. ففي بابل كان دينا قوميا لبني إسرائيل فقط، وفي «نيقية» سنة ٣٢٥ أُلغي دين موسي بالقوة من أتباع عيسي الضالين وحلّ محله قوانين من صنع البشر، واليهود إلي هذا الزمان علي الدين الخاصّ. وأتباع عيسي عليه السلام إلي هذا الزمان، علي قوانين البشر بعدما اتفقوا علي إلغاء التوراة.

ويمكن ضبط ما قدمنا علي النحو التالي:

العهد الأول : من موسي عليه السلام إلي سبي بابل. كانت التوراة لليهود وللأُمم من غير تحريف لفظي ومعنوي.

العهد الثاني : من سبي بابل سنة ٥٨٦ ق.م إلي ظهور عيسي عليه السلام. كانت التوراة لليهود فقط، مع التحريف اللفظي والمعنوي.

والعهد الثالث : من ظهور عيسي عليه السلام إلي مجمع نيقية سنة ٣٢٥م كانت توراة اليهود مع أتباع عيسي عليه السلام مع تنبيه عيسي علي التحريفات التي أصابتها.

والعهد الرابع : من مجمع نيقية إلي هذا الزمان:

أ - التوراة مع اليهود. هي التي كتبوها في بابل، مع عدم الالتفات إلي التنبيهات، واليهود يتواصون بالعمل بها علي حالها.

ب - التوراة مع النصاري اسما فقط، ويقولون:

أ - إن الإنجيل نسخها.

ب - وأنها غير محرفة.

ج ـ ولأن النبوءات التي فيها عن النبي المنتظر، تدل علي يسوع؛ فإننا نتمسك بها من أجل ذلك، لا من أجل ما فيها من عقائد وتشريعات.

هـــذا قولهـــم.

ويقول المسلمون:

أ ـ إن القرآن نسخها.

ب ـ وأنها محرفة.

ج ـ وأن النبوءات التي فيها عن النبي المنتظر هي لمحمد عليه السلام. فهي تشهد لمحمد ولا تشهد ليسوع الذي يُدعي المسيح. وما هو المسيح، بل مسيح.

ويُعلم مما تقدم: أن النصاري يعظمون كتاب التوراة مثل تعظيم اليهود له.

ولما ظهر عيسي عليه السلام ونبَّه علي التحريف في التوراة، وأظهر مواضعه؛ اغتاظ منه علماء اليهود، وأطلقوا عليه لقب « هانصري » استهزاء به.

ومعناه: الرجل الذي لا يُرجي منه خير. فلم يلتفت إلي استهزائهم. وتظاهر بقبول اللقب. فغلب عليه وعلي أتباعه إلي اليوم. وكانوا يلقبونهم بالهانصريين. أي المحتقرين في أعين اليهود. والهانصريين. ضبُطت فيما بعد بالناصريين. ثم استقرت علي « النصاري ».

والنصاري في اليهود. هم طائفة منهم، خرجت علي اليهودية المحرفة في بابل، ورجعت إلي اليهودية الأصلية بتوجيه من عيسي عليه السلام إذْ لم يُلزمهم عيسي عليه السلام بشريعة مغايرة لشريعة موسي عليه السلام وإنما ألزمهم بالتمسك بها، والحفاظ عليها، ودعوة الأمم بها، إلي أن يأتي محمد رسول الله ﷺ. وهذا هو معني الإنجيل. فالإنجيل هو البشري بخبر مفرح. والخبر هو مجئ النبي الذي نبه علي مجيئه موسي في الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية. لا موت يسوع علي الصليب ـ كما يزعم النصاري.

وظل أتباع عيسي علي رأيه هذا. وهم مسلمون علي وفق شريعة موسي إلي سنة ثلثمائة وخمسة وعشرين من بعد الميلاد. وفي تلك السنة اجتمع المنافقون من أتباعه مع أهل الروم، وقرروا إلغاء شريعة موسي إلغاء تاما إلي الأبد. وقرروا أن النبي المنتظر هو المسيح عيسي نفسه. لا محمد ﷺ وهم إلي هذاالزمان سائرون علي قرارات مجمع نيقية.

ثانيا: ثبوت النبوة بالتواتر والمعجزات

لو أن إنسانا قال: أنا رسول الله إلي الناس. فقوله هذا قد يكون صادقا فيه، وقد يكون كاذبا فيه. وهذا الإنسان الواحد لو أخبر بخبر مًا؛ فإنه قد يكون فيه صادقا وقد يكون فيه كاذبا. حتي ولو اشتهر بالصدق والعدالة؛ لاحتمال ضرورة فرضت عليه تغيير حاله. كالمضطر إذا أُلجئ إلي أمر، لا تقره الشريعة. ويسمي هذا بخبر الواحد. أو أخبار الآحاد من الناس. ويتكلم فيه علماء أصول الفقه تحت باب «الخبر الذي لايُقطع بكونه صدقا أو كذبا».

هذا عن خبر الواحد. أما عن خبر الاثنين فما فوق. فإن شهادة الاثنين تثبت حقا، وتنفي باطلا. أمام الحكام والقضاة. إذا ثبتت العدالة فيهما. وإذا كانت شهادة الاثنين هذا حكمها. فإن الَّذين هم أكثر من اثنين؛ يُقبل قولهم بشرط العدالة أيضا. وليس من خلاف في هذا بين العلماء، وإنما الخلاف الشديد في الجماعة الذين أخبروا بخبر مًا. في زمن ماض. ولم نتحقق نحنُ المعاصرين من عدالتهم لأنهم ماتوا من قبلنا بزمان طويل. هل نصدقهم فيما قالوا أم لا؟ هذاهو الخلاف، ولنضرب له مثلا للإيضاح:

يقول النصاري: إن المسيح مات علي الصليب. وهم كثرة. وهم سمعوا عن كثيرين، بلغوا حد التواتر. فهل يُقبل قولهم؟

والمسلمون يكذبونهم في هذا الخبر. وهم كثرة. وهم سمعوا عن كثيرين بلغوا

حد التواتر. ويقول النصاري: إن الإنجيل مكتوب فيه هذاالخبر. ويقول المسلمون: إن القرآن مكتوب فيه هذا الخبر.

ولهذا قال شيخ الإسلام محمد بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن خبر التواتر: «إنه خبر أقوام بلغوا في الكثرة إلي حيث حصل العلم بقولهم. وأكثر العلماء اتفقوا علي أن أمثال هذه الأخبار قد تفيد العلم. سواء أكان إخبارا عن أمور موجودة في زماننا؛ كالإخبار عن البلدان الغائبة، أو عن أمور ماضية، كالإخبار عن وجود الأنبياء والملوك، الذين كانوا في القرون الماضية، وحكي عن السُمَّنية: أن خبر التواتر عن الأمور الموجودة في زماننا، لا يُفيد العلم اليقيني البتة، بل الحاصل منه الظن الغالب القوي. ومنهم من سلَّم: أن خبر التواتر عن الأمور الموجودة في زماننا، يفيد العلم، لك أن الخبر عن الأمور الماضية، في القرون الخالية، لا يُفيد العلم البتة» أ. هـ.

ففي زماننا هذا، ونحن بعد عصر موسي النبي عليه السلام بكثير. نعلم أن موسي كان رسول الله، فما هو دليلنا علي هذا؟ هل هو من التواتر؟ هل هو من القرآن؟ هل هو من التوراة؟ هل هو من الزبور؟ هل هو من الإنجيل؟ وأيضا: نحن بعد عصر محمد النبي عليه السلام بكثير. ونعلم أنه رسول الله، فما هو دليلنا علي العلم برسالته؟

إنه إذا ردَّ النصاري خبر التواتر في العلم بنبوة محمد عليه السلام فإن نبوة عيسي قد عُلمت به. فخبر التواتر إذا لزم في إثبات نبوة المسيح عيسي عليه السلام يلزم في إثبات نبوة محمد عليه السلام.

وإذْ تثبتُ النبوات بالمعجزات. وقد ثبتت نبوة عيسي بها، تثبتُ بها أيضا نبوة محمد ﷺ.

والمعجزة للنبي. تحلُّ محل الشاهد الآخر، أمام القضاء. لأن الواحد مشكوك في خبره، ويزول الشك بانضمام آخر إليه، فإذا قام إنسان في مجمع من الناس وقال: أنا رسول الله إليكم؛ فإن الله يُجري علي يديه أمرا خارقا للعادة، كخروج ناقة من جبل - مثلا - فيصدق الناس أن الله شهد له، وأيَّده في قوله؛ فتكونُ المعجزة نائبة عن الشاهد

الآخر. والمعجزة تكون من جنس المألوف للناس، مع عدم قدرتهم علي إظهارها. ففي زمان موسي، كان السحرة يُلقون حبالهم وعصيهم علي الأرض. فيخيَّل للناس أنها ثعابين تمشي علي الأرض. فكانت معجزة موسي هي أنه ألقي عصاه، فصارت ثعبانا من لحم ودم. فتميز عنهم بأن العصا انقلبت إلي ثعبان حقيقي. وهم يصنعون تخيلات لا حقيقة لها. ولذلك سارع السحرة أوّلا إلي الإيمان بالله رب العالمين؛ لأنهم هم الفاهمون لعملهم ولعمله. وتبعهم الناس في الإيمان به.

وفي زمان المسيح عيسي عليه السلام كان علماء بني إسرائيل يُبخِّرون المرضي، ويتلون كلمات، ويتفلون في الماء، ويعزِّمون باسم الله الأعظم « شَمْفُورُوش » ويقرآون فصولا من كتب السحر والتنجيم، ويرصدون حركات الكواكب، ويتأملون طوالع البروج. وكل ذلك أمام المرضي؛ ليوهموهم بالشفاء، ولطرد الأرواح الشريرة من أجسادهم، فكان المسيح عيسي عليه السلام يقف أمام المريض. أمام جمع من العلماء والناس، ويضع يديه عليه، ويقول له: باسم الله لك أقول: اشف. فيشفي المريض ويصح. وبهذا يتميز فعله عن فعل غيره. فتتأكد نبوته ــ وهذا هو المذكور في الأناجيل الأربعة.

وأمَّةُ محمد ﷺ أمة أُمية لا تقرأ ولا تحسب، والعالَم من حولهم عاكف علي العلم؛ فكانت معجزة محمد ﷺ هي القرآن المليء بما يسرُّ العلماء ويفرحهم، والمظهر للمعاني بأُسلوب عال في البلاغة والفصاحة. وهو أمي. ما كان يدري ما الكتاب ولا الإيمان.

فإن ردَّ النصاري معجزة محمد ﷺ فإن نبوة عيسي ثابتة بها. ولئن قالوا: إن إحياءه للموتي يدل علي أُلوهيته. يُقال لهم؛ : إن أنبياء قبله من بني إسرائيل قد أحيوا الموتي. وإن قالوا: هم أحيوا بإذن الله. وهو أحيا من نفسه. يُكذبهم ما جاء في الأناجيل الأربعة. وهو أنه كان يحيي بإذن الله.

ففي رواية يوحنا عن إحياء المسيح لِلعَازَر ما نصه: « ورفع يسوع عينيه إلي فوق

. وقال: أيها الآب أشكرك؛ لأنك سمعت لي. وأنا علمتُ أنك في كل حين تسمع لي، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف. قلتُ: ليؤمنوا أنك أرسلتني. ولما قال هذا، صرخ بصوت عظيم: لِعَازَر. هلمَّ خارجا. فخرج المَيْت، ويداه ورجلاه مربوطات بأقْمطة، ووجهه ملفوف بمنديل، فقال لهم يسوع: حُلُّوه، ودعوه يذهب» (يوحنا ١١: ٤١-٤٤).

وفي إنجيل يوحنا ما نصه: «قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني. وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله» (يو ٨: ٣٩-٤٠).

«إنَّ لي أشياء كثيرة أتكلم بها وأحكم بها من نحوكم، لكن الذي أرسلني هو حق وأنا ما سمعته منه؛ فهذاأقولُه للعالم» (يو ٨: ٢٦).

وفي شفاء المسيح للأكمه الذي وُلد أعمي. يقول يوحنا عن هذه المعجزة: «وفيما هو مجتاز، رأي إنسانا أعمي منذ ولادته. فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم من أخطأ؟ هذا أم أبواه، حتي وُلد أعمي؟ أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبواه، لكن لتظهر أعمالُ الله فيه، ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار» (يو ٩: ١-٤).

وفي إنجيل لوقا: «وفي اليوم التالي ذهب إلي مدينة تُدعي نايين، وذهب معه كثيرون من تلاميذه، وجمع كثير. فلما اقترب إلي باب المدينة إذاميت محمول بن وحيد لأُمه، وهي أرملة ومعها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب تحنن عليها، وقال لها: لاتبكي. ثم تقدم ولمس النعش، فوقف الحاملون، فقال: أيها الشاب لك أقول: قم. فجلس الميت، وابتدأ يتكلم؛ فدفعه إلي أمه. فأخذ الجميع خوفٌ، ومجدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه» (لو٧: ١١-١٦).

وفي كتاب التوراة معجزات لإلياس واليسع وغيرهما تماثل معجزات المسيح عيسي عليه السلام ففي الأَصحاح الثامن، من سفر الملوك الثاني ما نصه: «وكلم اليشَع المرأةَ التي أحيا ابنها قائلا: قومي وانطلقي أنت وبيتك وتغربي حيثما تتغربي. لأن الرب قد دعا بجوع؛ فيأتيَ أيضا علي الأرض سبع سنين. فقامت المرأة وفعلت حسب كلام رجل الله وانطلقت هي وبيتُها وتغربت في أرض الفلسطينيين، سبع سنين، وفي نهاية

السنين السبع رجعت المرأة من أرض الفلسطينيين، وخرجت لتصرخ إلى الملك؛ لأجل بيتها وحقلها، وكلم جيحزى غلام رجل الله قائلاً : قُصَّ عليَّ جميع العظائم التى فعلها أليشع . وفيما هو يقص على الملك كيف أنه أحيا الميت؛ إذا بالمرأة التى أحيا ابنها، تصرخُ إلى الملك لأجل بيتها ولأجل حقلها، فقال جيحزى : يا سيدى الملك، هذه هى المرأة، وهذا هو ابنها الذى أحياه أليشع . فسأل الملك المرأة؛ فقصَّت عليه ذلك . . . الخ» (٢مل ٨ :١-٦) .

ثالثا : أحوال عيسي في الأناجيل لا تدل علي ألوهيته

كما هو مكتوب بغض النظر عن صحته أو عدم صحته : جاء في إنجيل متي : « وبصقوا عليه، وأخذوا القصبة، وضربوه علي رأسه » (متي ٢٧ : ٣٠) .

وفي الأناجيل أن عيسي كان يصلي لله، ويسبح لله « ثم سبَّحوا وخرجوا إلي جبل الزيتون » (متي ٢٦ :٣٠]) « فقال للتلاميذ : اجلسوا ههنا، حتي أمضي وأُصلي هناك، ثم أخذ معه بطرس وابني زَبْدي، وابتدأ يحزن ويكتئب : فقال لهم : نفسي حزينة جدا حتي الموت . امكثوا ههنا واسهروا معي . ثم تقدم قليلا وخر علي وجهه، وكان يصلي قائلا : يا أبتاه إن أمكن؛ فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أُريد أنا، بل كما تريد أنت » (متي ٢٦ : ٣٦-٣٩) .

رابعًا : رد التواتر في نبوة محمد

وقد سَلَّم قسيس خوارزم بصحة خبر التواتر، وإفادته للعلم، ولكنه فرَّق بين التواتر الحاصل للمسيح والتواتر الحاصل لمحمد . بقوله : إن تواتر أخبار محمد . أصلُها عن واحد . وما نُقل عن الواحد فمردُّه إلي أخبار الآحادحتي ولو حكاه الكثيرون فيما بعد، فعبد الله بن مسعود . واحد . وروي معجزة انشقاق القمر، ثم تواترت من بعده، ومثل هذا ليس من التواتر في شئ، لأن أصل الخبر عن واحد لا عن جماعة . هذا هو قوله .

والرد عليه : إن معجزة محمد ﷺ هي القرآن الكريم باللفظ والمعنى من أُمي لا يقرأ ولا يكتب . وما رُوي من معجزات حِسِّية مثل انشقاق القمر . فإن علماء المسلمين

مختلفون في إثباته، فمنهم من يقبله، ومنهم من يردُّه. وعلي ذلك فالقسيس يشاغب في المختلف فيه، لافي المتفق عليه.

ولماذا يشاغب؟ وفي التوراة عن محمد ﷺ: «أُقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم. مثلك. وأجعلُ كلامي في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أُوصيه به» [تث ١٨ : ١٨] وقوله « وأجعل كلامي في فمه» يدل على أنه غير قارئ ولا كاتب . وحقاه و كذلك، ولو أنه جاء قارئا وكاتبا لما أُلزم أهلُ الكتاب أن يؤمنوا به، إذْ يصح لهم أن يرتابوا فيه، لأن من أوصاف النبي المنتظر عندهم : أن لايكون قارئا ولا كاتبا. وقد بين الله هذافي القرآن فقال:

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لأَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ * وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (سورة العنكبوت ٤٨-٥٢).

خامسا: مغالطة القسيس لشيخ الإسلام

ولما قال شيخ الإسلام للقسيس: إن عيسي كان يأكل ويشرب ويتبول ويتغوَّط. ومن كان هذا حاله، لايكون إلها، فعيسي إنسان وليس بإله. رد القسيس بقوله: نحن لانعتقد أن عيسي الذي تعتقده أيها المسلم بهذه الصفة ما كان إلها، بل كان بشرا.

دقِّق النظر في عبارة القسيس. فإنه قد أوردها بصيغة تحريف الكلم عن مواضعه. إنه يريد أن يقول: إن عيسي بحسب اعتقاد النصاري، هو غير عيسي بحسب اعتقاد المسلمين، وذلك لأنه عند النصاري، إله في صورة بشر - ناسوت جسدي ولاهوت إلهي - وعند المسلمين بشر فقط. وبحسب ما عندكم أيها المسلمون ما كان إلها، بل كان بشرا.

ثم أفصح عن معتقده بقوله: « وإنما صانعُ العالم هو القديم الأَزلي، الذي لا يُكَيَّف ولا يُمثَّل، ويظهر لعباده كيف يشاء، وفي أي صورة شاء » إن الله تعالي يجوز عليه أن يظهر لعباده بأي صورة ـ في معتقده ـ فأي مانع من ظهوره في جسد المسيح؟ فالمسيح هو الله، والله هو المسيح. في معتقده الأرثوذكسي.

والرد عليه: هو أن التوراة نصَّت بصراحة علي أن الله لايُري ولا يقدر أحد أن يراه، ونص الزبور علي أن الله لاتأخذه سنة ولا نوم. وفي سيرة المسيح: أنَّ الناس رأوه، وأنه نام وغفل عن شئون نفسه، فكيف يكون هو الله؟

ففي التوراة: « لا تقدر أن تري وجهي؛ لأن الإنسان لا يراني ويعيش » « وأما وجهي فلا يُري » [خر ٣٣ : ٢٠ و ٢٣] وفي الزبور: «إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل» (مزمور ١٢١ : ٤) وفي إنجيل يوحنا: « الله لم يره أحد قط » (يو ١ : ١٨).

وفي إنجيل مَرْقُس: « وقال لهم في ذلك اليوم لما كان المساء: لنجتز إلي العِبْر. فصرفوا الجمع وأخذوه، كما كان في السفينة. وكانت معه أيضا سُفن أُخري صغيرة. فحدث نوْء ريح عظيم. فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة؛ حتي صارت تمتلئُ. وكان هو في المؤخر علي وسادة نائما. فأيقظوه. وقالوا له: يا معلم أما يهمك أننا نهلك؟» (مر ٤ : ٣٥-٣٨).

سادسًا: دليل القسيس علي أن الله هو المسيح

وقال القسيس في معرض احتجاجه علي شيخ الإسلام: إنكم أيها المسلمون تنكرون علينا اعتقادنا في أن الله تجسَّد وأنتم تعتقدون تجسده؛ فلماذا الإنكار؟ فقد روي البخاري عن أبي هريرة أن الرسول قال: « ينزل ربنا تبارك وتعالي كل ليلة إلي السماء الدنيا، حين يبقي ثلث الليل الآخير، يقول: مَنْ يدعوني؛ فأستجيب له. من يسألني؛ فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له » والنزول من صفات الأجسام. هذا هو معني احتجاجه.

والرد عليه: أن هذا من باب المحكم والمتشابه.

ولقد قلنا ما نصه في كتابنا نور النبى:

المحكم والمتشابه

إذا قلت (يد الله فوق أيديهم) فإن اليد تحتمل معنَيْين اثنين: أحدهما على الحقيقة، والآخر على المجاز.

١ ـ واليد علي الحقيقة: هي جسم اليد التي فيها أصابع وأظافر.

٢ ـ واليد علي المجاز : هي كناية عن أن قدرته هي فوق قدرة الناس.

ولاحتمال اليد للمعنيين، يكون النص متشابهاً. ويجب البحث عن محكمه، الذي يبين لنا المراد من المعنيين . فما هو المحكم؟

لا يمكن أن يكون المحكم قرينة عقلية. لأن ذات الله وصفاته لا ينضبط الكلام فيها إلا بالنصوص. والمحكم هو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (سورة الشورى آية ١١) لأن له معني واحد وهو نفي المثل. ونفي المثل هو نفي الجسم. لماذا؟ لأنك لو قلت : له يد، لكان المعني : إثبات جسم لليد علي أي تخيُّل يخطر بالبال. والتخيل قد يجعل اليد يد حيوان أو طير أو تمثال مصنوع بالأيادي. ونفي المثل يستلزم نفي التخيل علي أي مخلوق كان. فتكون اليد كناية عن القدرة. ولا يمكن القول بيد لا مثل لها. لأن ذلك محتمل لنفي المثل عن الجسمية، والله يريد نفي الجسمية نفسها.

الحشوية:

وقد سمَّي إمام الحرمين، الجويني رحمه الله من يقول بيد لله. لا مثل لها. سماهم بالحَشَوية. فقال : « فإنا نري الحشويَّ من الحنابلة مُصمماً علي عقْد، متعلق بالمعتقد، علي ما هو به. مع إنكاره النَّظر، ولو نُشر بالمنشار، لم يَكَعْ، ولم يرجع ».

وقال التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون : « هم قوم تمسكوا بالظواهر. فذهبوا إلي التجسيم وغيره. وهم من الفِرَق الضالَّة ».

المواضيع السبعة للمُحكم والمتشابه

فى القرآن الكريم

وقد بين الله تعالى فى القرآن الكريم

أولاً : أن فيه نصوص محكمة، ونصوص متشابهة.

ثانياً : وأن النص المتشابه محدد بمعنيين اثنين.

ثالثاً: وأن النص المتشابه له نص محكم.

رابعاً : وأن المتشابه محدد بسبعة مواضيع.

خامساً : وأن الراسخين في العلم يعلمون المتشابه والمحكم.

والدليل علىّ أن فيه محكم ومتشابه : قول الله تعالي : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾ (الشورى: ١١).

والدليل علي أن المتشابه محدد بمعنيين اثنين : قول الله تعالي : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ** ﴾ (الزمر: ٢٣) فقد وصف المتشابه بالمثاني.

والدليل علي أن المتشابه سبعة مواضيع قول الله تعالي: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ (الحجر: ٨٧).

والدليل علي أن المتشابه والمحكم يعلمه الراسخون في العلم: قول الله تعالي في وصف القرآن: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾ (القيامة: ١٩).

الغرض من رد المتشابه إلي المحكم

والغرض من رد المتشابه إلي المحكم : هو نفي موهم التعارض عن القرآن فقوله تعالي: ﴿ **لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى** ﴾ (طه: ٥٢) ظاهره ينفي النسيان. وقوله تعالي: ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ (التوبة: ٦٧) ظاهره يثبت النسيان. فالنصان في الظاهر متعارضان. وإثبات التعارض معناه: أن القرآن ليس من الله. وقد ثبت أن القرآن من الله، وعليه فإن التعارض، يكون تعارضاً في الظاهر، لافي الحقيقة ونفس الأمر. ويجب

علي العلماء البحث عن إزالته، بتعيين المحكم، وإبرازه للناس . فما هو المحكم الذي يقضي بين النصين؟

إن المحكم هو قوله تعالي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الفتح : ١٠) لأنه ينفي الجسمية عن الله تعالي . والنسيان الحقيقي من صفات الأجسام . وحيث قد نفي الجسمية بالمحكم؛ فإن النسيان الحقيقي يكون غير مراد، فما هو المراد؟ هو المعني الآخر، الذي هو كناية عن الإهمال .

وطريقة التعيين هكذا:

أ ـ ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ (التوبة : ٦٧) .

١ ـ النسيان علي الحقيقة . ٢ ـ النسيان علي المجاز .

ب ـ ابحث عن المحكم . وهو ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ الذي ينفي الجسمية .

ج ـ انظر إلي المتشابه . وخذ منه المعني المتفق مع المحكم .

أن الكتاب ليس من الله .

فكيف تحل هذا الإشكال؟

إنه يُحل علي طريقة المحكم والمتشابه . وكيف يحل؟

إن الاختلاف القليل الموجود في القرآن، هو اختلاف الآيات السبع المتشابهة . وعند الرد إلي المحكم تمحي الاختلافات وتزول . وهذا مثل قوله تعالي : (وإنا أو إياكم لعلي هدي أو في ضلال مبين) .

فإن ظاهره يثبت أن النبي ﷺ كان شاكاً في أمره . وعند البحث والتحري يتبين أنه علي حق، فيثبت : أنه هو الذي علي الهدي .

الصلة بين المجاز وبين المحكم والمتشابه

والمتشابه ـ وهو المحتمل لمعنيين أحدهما مجاز والآخر حقيقة ـ صلته وثيقة بالمجاز في اللغة . فإنه و الكناية . والكناية من مجاز اللغة . فقوله تعالى : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ وقوله تعالي : (فاليوم ننساكم) هو كناية عن إدخالهم النار، وإهمالهم

وإبعادهم عن رحمته. وقد تكون الكناية والمجاز المرسل. في مثال واحد. ويصرح بالمجاز المرسل ولا يصرح بالكناية. وقد يصرح بالكناية ولايصرح بالمجاز، فقوله تعالي: ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ هو عندنا كناية عن الإعراض والكره. وليس هو حقيقة في أنهم أدخلوا من الأصابع في الآذان. وعلماء البلاغة يقولون: هو مجاز مرسل. وأنهم لم يضعوا كل الأصابع بل بعض الأصابع، لاستحالة وضع الأصابع كلها في الآذان. أي أن من أخذ بظاهر النص حكم بأنه مجاز مرسل، ومن نظر إلي المعني المراد من النص، حكم بأنه كناية. ومن يجمع بينهما يقول: هو مجاز في بعض الأصابع. ثم يقول: والنص كناية عن الإعراض عن دعوة نوح - عليه السلام.

والفرق بين النص المتشابه وبين المجاز: هو أن القرينة في المتشابه تكون للاختلاف. وهي قد تكون في المجاز قرينة عقلية - كما بينا.

الله يكلم الناس علي قدر عقولهم

١ - وقد كلم الله الناس علي قدر عقولهم، عن ذاته وصفاته، ليقدروا علي تصور ذاته وصفاته.

٢ - وبين لهم أنه ليس كمثله شئ. وهذا في القرآن وفي التوراة. فإن نصوص نفي المثلية عن الله تعالي في التوراة كثيرة جداً، وفي القرآن نصوص. وفي التوراة وفي القرآن: أن الله يمكر ويتأسف ويغضب ويحب ويكره، وفي التوراة وفي القرآن: أن الله يمكر ويتأسف ويغضب ويحب ويكره، وفي التوراة وفي القرآن: أن الله يجئ ويكشف عن ساقه، وله يد، وعينين. هذاكله مذكور في الكتابين.

ومن يأخذ بأحد معنى المتشابه، الذي يدل علي تجسيم لله، ولا يعرف المحكم، ولا كيفية الرد إليه، فإنه يحكم بالجسمية، ومثله من يجمع بين إثبات الصفات ونفي المثل. فيقول: لله يد ولكن ليست كأيدينا. فإنه تلزمه الجسمية ولو لم يصرح بها.

ففي بعض الكتب قرأنا: أن اليهود يجسمون الله تعالي؛ لأنه مكتوب في التوراة: « ثم ذكر الله نوحاً » (تك ٩ : ١) فإن ظاهره يدل علي أنه كان قد نساه.

وأن الله ندم علي خلق بني آدم، ففي التوراة : « فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبه » (تك ٦ :٦) والمؤلف لو كان عارفاً بالنصوص المحكمة التي تنفي الشبه عن الله تعالي . لما حكم بأن التوراة تجسم الله تعالي . وكذلك لو كان عارفاً لآيات القرآن . ففيها : (فاذكروني أذكركم) وفيها : (فلما آسفونا) وفيها : (ولكن كره الله انبعاثهم) وقال هذا المؤلف : إن في التوراة : أن الله صارع يعقوب ـ عليه السلام ـ وهذا يدل علي التجسيم . ولم يُكلِّف نفسه قراءة النص في موضع آخر، أو في ترجمة أخري . ففي سفر هوشع : أن المصارع ملاك، وفي التوراة السامرية : أن المصارع ملاك . بل في القرآن : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام** ﴾ والنص في التوراة : أن السائر معهم كان ملاك الله . نيابة عنه .

وقول اليهود : إن الله بخيل، وإهانتهم له . هذا شئ . ونصوص التوراة شئ آخر . فإنه لما سقطت دولتهم؛ هانوا علي أنفسهم، . ويأسوا من رحمة الله، فسبوه ولعنوه ـ عليهم اللعنة ـ وكتبوا في التلمود كثيراً من سفههم وعبثهم . أما التوراة . فإنها مصرحة بنفي المثل عن الله تعالي . ويجب علي المسلمين إبراز هذه المعاني بالحق . لقوله تعالي : (مايقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) وما قيل للرسل في التوحيد وفي التنزيه هو في التوراة .

وهذه نصوص تنفي المثل عن الله تعالي من التوراة وأسفار الأنبياء :

١ ـ « ليس مثل الله » (تثنية ٣٣ : ٢٦)

٢ ـ « ياألله من مثلك ؟ » (مزمور ٧١ :١٩)

٣ ـ « يارب ليس مثلك، ولا إله غيرك » [أخبار الأيام الأول ١٧ : ٢٠]

٤ ـ « اذكروا الأوليات منذ القديم . لأني أنا الله وليس آخر . الإله وليس مثلي » (إشعياء ٤٦ :٩)



النص المحكم والمتشابه عن الله تعالي

في

التوراة وفي القرآن

علماء المسلمين كلهم متفقون علي أن الله ليس جسماً. حتي الذين يقولون: نسلم بظواهر النصوص عن صفات أعضائه وصفات فعله، مع نفي المثل عنها، يقولون: لا يمكن أن نصرح بالجسمية. لأن الجسمية تدل علي قيام الحوادث بذات الله تعالي، وتدل علي تغير الجسم من حال إلي حال. والله لا يليق به ذلك. وكل العلماء متفقون علي أن الجسمية منتفية عن الله تعالي من قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (الشورى: ١١).

وهذا القول بالمعني في التوراة. في الأسفار الخمسة، وأسفار الأنبياء. وفي التوراة: أن موسي - عليه السلام - طلب رؤية الله، وامتنعت عليه، وفيها: أن الله لا تأخذه سنة ولا نوم. وفيها: الله نور السماوات والأرض. وفيها: أن الله يعلم ويري. فالنصوص المحكمة متفق عليها. وواضحة أكثر فأكثر من سفر الزبور لداود - عليه السلام - وهذه نصوص من نصوص كثيرة، مفرقة علي ستة وأربعين سفرا.

أولاً: النص المحكم والمتشابه علي نفي الجسم عن الله في التوراة:

١ - « **وأما** وجهي فلا يُري ». (خروج ٣٣:٢٣)

٢ - « فحدث إذ كان هرون يكلم كل جماعة بني إسرائيل أنهم التفتوا نحو البرية، **وإذا** مجد الرب قد ظهر في السحاب. فكلم الرب موسي ».

(خر ١٦:١٠-١١)

٣ - « **وأما** موسى فاقترب إلي الضباب، حيث كان الله ». (خر ٢٠:٢١)

٤ - « وحل مجد الرب علي جبل سيناء، وغطاه السحاب ستة أيام. وفي اليوم السابع دُعي موسي من وسط السحاب. وكان منظر مجد الرب كنار آكلة علي رأس الجبل، أمام عيون بني إسرائيل، ودخل موسي في وسط السحاب ».

(خر ٢٤ : ١٦ - ١٨)

٥ - « فنزل الرب في السحاب. فوقف عنده هناك ونادي باسم الرب. فاجتاز الرب قدامه. ونادي: الرب. الرب. إله رحيم ورءوف، بطئ الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإحسان إلى ألوف. غافر الإثم والمعصية والخطيئة، ولكنه لن يبرئ إبراء ». (خر ٣٤ : ٥ - ٧)

٦ - « بالرب إلهكم، السائر أمامكم في الطريق ليلتمس لكم مكاناً لنزولكم، وفي نار ليلاً ليريكم الطريق التي تسيرون فيها، وفي سحاب نهاراً ».

(تثنية ١ : ٣٢ - ٣٣)

٧- « فانتقل ملاك الله، السائر أمام عسكر إسرائيل وسار ورائهم، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ووقف ورائهم ». [خروج ١٤ : ١٩]

٨ - « ليس مثل الله ». [تث ٣٣ : ٢٦]

٩ - « فبمن تشبهون الله؟ وأى شبه تعادلون به؟ ». [إش ٤٠ : ١٨]

ثانياً : النص المحكم والمتشابه على نفى الجسم عن الله فى القرآن :

١ - ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾ (مريم : ٦٥) أي مِثلاً .

٢ - ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ (الشورى : ١١) .

٣ - ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ (الأنعام : ١٠٣) .

٤ - ﴿ **لَن تَرَانِي** ﴾ (الأعراف : ١٤٣) .

٥ - ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ (الفجر : ٢٢) أي جاء أمره؛ لاستحالة الجسمية عنه بنفي المثل.

المقارنــة :

أ - نفي المثل عن الله متفق عليه بين القرآن والتوراة .

ب - المرئي هو مجد الرب، لاذات الرب .

جـ - الرب السائر مُفسر بملاك الرب . لابذات الرب .

ثالثاً : النص المحكم والمتشابه على نفي المكان عن الله في التوراة :

١ - « في كل الأماكن التي أصنع فيها لاسمي ذكراً، آتي إليك وأباركك » .

(خر ٢٠:٢٤)

٢ - « وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب » . (تك ٦:٨)

٣ - « حتي فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب » . (عدد ٣٢:١٣)

٤ - « إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة، أفما أراه أنا؟ يقول الرب . أما أملا أنا السماوات والأرض؟ يقول الرب » . (إرمياء ٢٣:٢٤)

رابعاً : النص المحكم والمتشابه على نفى المكان عن الله في القرآن :

١ - ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾ (الأنعام : ٣) .

٢ - ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه : ٤٦) .

٣ - ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ (الملك : ١٦) .

٤ - ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ (البقرة : ١١٥) .

تصحيح خطأ :

وعلي هذا الذي قدمناه؛ يتوجَّب قراءة النص التالي بحذر . وهو من كتاب بدائع الفوائد . لابن قيم الجوزيَّة .

النص : « قال القاضى : صنَّف المروزي كتابافي فضيلة النبي ﷺ وذكر فيه إقعاده

علي العرش. قال القاضي : وهو قول أبي داود، وأحمد بن أصرم، ويحيي ابن أبي طالب، وأبي بكر بن حماد، وأبي جعفر الدمشقي، وعياش الدوري، وإسحاق بن راهويه، وعبد الوهاب الورّاق، وإبراهيم الأسبهاني، وإبراهيم الحربي، وهرون بن معروف، ومحمد بن إسماعيل السُّلمي، ومحمد بن مصعب العابد، وأبي بكر ابن صدقة، ومحمد بن بشر بن شريك، وأبي قَلاَبة، وعلي بن سَهْل، وأبي عبد الله بن عبد النور، وأبي عبيد، والحسن بن فضل، وهرون بن العباس الهاشمي، وإسماعيل بن إبراهيم الهاشمي ومحمد بن عمران الفارسي الزاهد، ومحمد ابن يونس البَصْري، وعبد الله بن الإمام أحمد، والمروزي، وبِشْر الحافي».

قلت : وهو قول ابن جرير الطبري. وإمام هؤلاء كلهم مُجَاهد . إمام التفسير. وهو قول أبي الحسن الدار قطني» ا . هـ .

كيفية رد المتشابه إلي المحكم

١) قوله تعالي : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾ (الأنعام : ٣) قول محكم. يدل علي أنه بعلمه في كل مكان. وقلنا بعلمه. ولم نقل بذاته؛ لأن الجسمية ممتنعة عن الله . وقوله (من في السماء؟) نص مشابه يحتمل :

١ - أنه بذاته في السماء.

٢ - أنه هو الإله وليس غيره. وعبّر بالسماء لأنها جهة العلو.

والمتفق مع المحكم هو المعني الثاني.

٢) قول الله في التوراة - إن كان هو القائل -: « أما أملأ أنا السماوات والأرض؟ » قول محكم. يدل علي أن الله بعلمه في كل مكان.

قوله : « أتي إليك » قول متشابه يحتمل :

١ - أنه يحل بذاته في مكان ويترك أمكنة.

٢ - تأتي رحمته وبركته.

والمتفق مع المحكم هو المعني الثاني.

٣) قوله تعالي : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ نص محكم ينفي الجسمية. وقوله تعالي : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ قول متشابه يحتمل:

١ - جاء علي رجليه.

٢ - وجاءت رحمته.

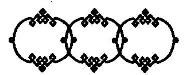
والمتفق مع المحكم هو المعني الثاني.

٤) في التوراة : « لا مثل لله » وهو نص محكم ينفي الجسمية. وفيها :« فنزل الرب في السحاب » وهو نص متشابه، يحتمل:

١ - نزول الرب بذاته، فيكون جسماً.

٢ - نزول رحمته.

والمتفق مع المحكم: هو المعني الثاني.



تنزيه الله

عن الجسمية ومشابهته للحوادث

في

التوراة والقرآن

ومن يعقد مقارنة بين آيات القرآن الدالة علي نفي الجسم، عن الله - تعالي - وعدم مشابهته للحوادث، وبين التوراة في نفس المعاني؛ فإنه يجد المشابهة حاصلة وواضحة. وهذا واضح مما تقدم ومما يأتي:

١) في القرآن: أن الله لا تأخذه سِنة ولا نوم. لقوله: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ** ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

وفي التوراة يقول داود - عليه السلام - : « معونتي من عند الرب، صانع السماوات والأرض. لايدع رجلك تزلّ. لا ينعس حافظك. إنه لاينعس ولا ينام حافظ إسرائيل. الرب حافظك ». (مزمور ١٢١)

ويقول داود عليه السلام: « يارب من يشبهك؟ لا تنم ياعال » (٨٩ :٧و٤٤ :٢٤)

والنصاري يقولون : إن عيسي - عليه السلام - إله، أو هو الله رب العالمين، ويقولون: إنه كان نائماً علي وسادة في المركِب. والتوراة تقول: إن الله رب العالمين لا ينام. والقرآن يقول: ﴿ **لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ** ﴾ فيلزم عليهم إما تكذيب التوراة، وإما أن عيسي - عليه السلام - ليس هو الله رب العالمين.

يقول مَرقس: « وقال لهم في ذلك اليوم لما كان المساء: لنجتز إلي العبر، فصرفوا الجمع وأخذوه كما كان في السفينة. وكانت معه أيضاً سفن أخري صغيرة. فحدث

نوء ريح عظيم فكانت الأمواج تضرب إلي السفينة حتي صارت تمتلئ. وكان هو في المؤخر علي وسادة نائماً. فأيقظوه وقالوا له: يامعلم أما يهمك أننا نهلك؟».

(مرقس ٤ :٣٥)

٢) في القرآن الكريم: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ (النور: ٢٥) وهو نص متشابه يحتمل:

١ ـ جسم ينور.

٢ ـ كناية عن أن كلامه يهدي أهل السماوات والأرض، كما يهدي نور القمر من يسير في الليل في طريقه. وقد جرت عادة الناس أن يقولوا في الترحيب بالضيف: أنت نورت المكان ـ كناية عن سرورهم به.

والمتفق مع الحكم وهو ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾ (الشورى: ١١) المعني الكنائي.

وفي التوراة:

أ ـ «ارفع علينا نور وجهك يارب». (مزمور ٤ :٦)

ب ـ «لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الأرض، ولا ذراعهم خلصتهم، لكن يمينك وذراعك ونور وجهك؛ لأنك رضيت عنهم». (مزمور ٤٤ :٣)

جـ ـ «يارب بنور وجهك يسلكون». (مزمور ٨٩ :١٥)

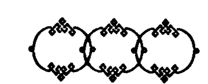
د ـ «لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نري نوراً». (مزمور ٣٦ :٩)

هـ ـ «نور وجهك» نص متشابه يحتمل:

١ ـ وجه مجسّم منوّر.

٢ ـ كناية عن الاهتداء بأمره.

ومحكمه هو: «ليس مثل الله» والمتفق مع المحكم هو المعني الكنائي أ.هـ.



سابعًا: مغالطة القسيس
في
أن عزيرا ابن الله والمسيح ابن الله

وقال القسيس: إن طائفة منا تعتقد أن المسيح ابن الله علي سبيل التفخيم والتعظيم، لا علي سبيل البنوة الطبيعية لله. ولذلك لم يجئ في القرآن: وقالت النصاري كلهم أجمعون. ومن قال من اليهود بأن عُزيرا ابن الله. فإنه لم يقل منهم إلا رجل واحد.

والرد عليه: هو أن جميع النصاري بلا استثناء يقولون: إن المسيح بن الله، علي معنيين:

الأول: إن المسيح من بني إسرائيل. وكل فرد من بني إسرائيل يُلقب بلقب ابن الله مجازا - صالحا كان أو فاسدا. لما جاء في التوراة وهو: «أنتم أولاد للرب إلهكم». (تث ١٤: ١)

والثاني: أن داود عليه السلام لقَّب النبي الآتي إلي العالم بلقب «ابن الله» في المزمور الثاني، وهم قد وضعوا النبوءة - زُورا - علي المسيح عيسي عليه السلام. فكلهم معترفون بأن عيسي ابن الله علي هذين المعنيين.

ثم إنهم بعد ما قالوا في مجمع نيقية: إن نبوءة المزمور الثاني تدل علي المسيح. اختلفوا. فقال الأرثوذكس: إن الله هو المسيح، وقال الكاثوليك: إن المسيح هو الإله الثاني. ونقلوا لقب «ابن الله» من المعني المجازي إلي المعني الحقيقي وهو الولادة الطبيعية.

أما اليهود، فإن كل فرد فيهم هو «ابن الله» بالمعني المجازي. لنص التوراة علي ذلك. وعَزْرا منهم. فهو ابن الله بحسب نص التوراة. ولأنه هو الذي حَرَّف التوراة كما تهوي أنفسهم، قالوا: إنه ابن ممتاز، لاابن عادي. ومع أنه ممتاز، ليس ابنا بالطبيعة، بل بمعني القرب من الله والمحبة.

ثامنا : نفي قتل المسيح وصلبه

وقـال القسيس : إن الصلب وقـع علـي ناسوت المسيح ولم يقع علي لاهوته .

والرد عليـه : هو أن مـوسي عليه السلام نبَّـه علي نبي سيـأتي من بعده؛ ليُقـيم الدين . وقال في أوصافه : إنه لا يُقتل بيد أعدائه . والنصاري يدَّعون : أن هذا النبي هو المسيح عيسي عليه السلام ثم يقولون : إنه قُتل وصلب . وهذا تناقض، فإنهم إن سلَّموا بأنه هو النبي الآتي، يجب عليـهم أن يقـولوا : ليس هو النبي الآتي إلي العـالم . وهذا يكفي في الإفحام .

وهذا هو نص التوراة عنه من ترجمة اليسوعيين :

« يُقيم لك الرب إلهك نبيا من بينكم من إخوتكم . مثلي، له تسمعون . جـريا علـي كـل مـا سألته الرب إلهك في حوريب يوم الاجتمـاع قائلا : لا عدت أسمع صوت الرب إلهي، ولا أري هذه النار العظيمة أيضا؛ لئلا أموت .

فقال لي الرب : قد أحسنوا فيما قالوا . أُقيم لهم نبيا من إخوتهم مثلك . وأُلقي كلامي في فيه؛ فيخاطبهم بجميع ما آمره به . وأي إنسان لم يطع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فإني أحاسبه عليه، وأي نبي تجبر، فقال باسمي قولا، لم آمره أن يقوله، أو تنبأ باسم آلهة أخري؛ فليقتل ذلك النبي .

فإن قلت في نفسك : كيف يُعرف القول الذي لم يقله الرب؟

فإن تكلم النبي باسم الرب، ولم يتم كلامه ولم يقع؛ فذلك الكلام لم يتكلم به الرب، بل لتجبّره تكلم به النبي، فلا تخافوه » . [تثنية ١٨ : ١٥ - ٢٢]

تاسعا : الجهاد في سبيل الله

في شريعة بني إسرائيل

الجهاد : هو دعوة الكفار بالله إلي الإيمان به، والعمل بشريعته . فإن آمنوا وعملوا . كانوا مثل المسلمين الدُّعاة، سواء بسواء . وإن لم يؤمنوا ولم يعـملوا، وسالموا المسلمين

بعدم الطعن في دينهم، وبعدم صدّ الناس عن الدخول فيه، فإنه لا يحل للمسلمين قتالهم. وإن ظلّوا علي الكُفر وآذوا المسلمين، وصدوا عن الدين؛ فإنه يجب علي المسلمين قتالهم. والقتال: هو الجهاد في سبيل الله.

وقد يكون الجهاد ـ مجازا ـ جهاد النفس والهوي، بكفّها عن شهوات الحياة الدنيا. وهذا مطلوب من المؤمن. ولكن الجهاد في مُسمَّي الشرائع: هو القتال في سبيل الله.

التلازم بين الجهاد ويوم القيامة:

وإذا ثبت من شريعة تصريحها بالجهاد، يثبتُ اعترافُها بيوم القيامة، ولو لم تنصْ عليه نصا صريحا. وإذا ثبت منها اعترافها بيوم القيامة، يثبت أنها تحثُّ علي الجهاد، ولو لم تصرح به. وذلك لأن:

أ ـ الجهاد.

ب ـ والبعث من الأموات بينهما تلازم، لا مفر من القول به. فالذي يُجاهد في سبيل الله. وهو يعلم أنه قد يُقتل. ما هو جزاؤه؟ إن قلنا: جزاؤه مال أو شبهه في الدنيا، فإنه لن تعود إليه الروح، حتي يناله، والذي هو مستيقن بالقيامة من الأموات؛ الجنة، إن عمل صالحا؛ فإن من الأعمال الصالحة: دعوةُ الناس إلي تسبيح الله. ودعوتُهم: هي الجهاد؛ لتخليص الضعفاء من الأقوياء.

وفي التوراة وفي الإنجيل نصوص علي:

أ ـ الجهاد في سبيل الله.

ب ـ وعلي أنّ يوم القيامة حق لا ريب فيه.

وقد أكد القرآن علي وجود الأمرين فيهما. فإن فيه: أن الله حكي عن اليهود قولهم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ (آل عمران: ٣) وهذا يدل علي اعترافهم بجهنم.

وهم لا يعترفون بجهنم إلاَّ من نصوص هي في كتاب موسي. لأنه هو كتاب العقائد والشرائع. وقال تعالي: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (آل عمران: ٢٤) فقد بين: أن الجهاد في سبيل الله هو ملة إبراهيم. وبنو إسرائيل أبوهم هو إبراهيم. وهم كانوا علي ملة أبيهم. كما أن محمداً ﷺ علي ملته. فإن إبراهيم هو أبوه أيضا.

ومن النصوص علي الجهاد:

«لأنك جاهدت مع الله».	(تك ٣٢:٢٨)
«وبقوته جاهد مع الله».	(هو ١٢ : ٣)
«لكان خدامي يجاهدون».	(يو ١٨ : ٣٦)
«نادوا بأن جهادها قد كمل».	(إش ٤٠ : ٢)
«والأمر حق، والجهاد عظيم».	(دا ١٠ : ١)

وأنبياء بني إسرائيل كانوا يجاهدون الأمم ليُسلموا حسب شريعة موسي عليه السلام فقد قال محمد بن إسحق وغيره من أصحاب الأخبار: كان سليمان عليه السلام رجلا غزّاء، لا يكاد يقعد عن الغزو وكان علي شريعة موسي. ودعا أهل اليمن إليها. وأسلموا مع ملكتهم، وتركوا عبادة الشمس.

وفي القرآن الكريم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢) ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٤٦).

والقتال في سبيل الله يستلزم الإيمان بالبعث من الأموات، فهل في توراة موسي نصوص تدل علي البعث من الأموات؟

إن في أسفار الأنبياء نصوص، وفي سفر الزبور نصوص، وفي الأناجيل نصوص،

فكيف لا تكون نصوص في توراة موسي. وهي عندهم بمنزلة الرأس من الجسد؟ يقول نَفَرٌ من أهل العلم: إن التوراة ـ ويعنون توراة موسي، لا أسفار الأنبياء ـ قد خلت من ذكر البعث. وصدَّق علماء من بني اسرائيل علي قولهم. فلماذاقالوا؟ ولماذا صدَقوا؟ إن توراة موسي في البدء كانت مصرحة بالبعث من الأموات بعبارات واضحة للأمي والعالم. ومن أجل عقيدة البعث هذه، جاهد بنو إسرائيل في سبيل الله مع موسي ويشوع وطالوت وداود وسليمان وغيرهم. وفتحوا بلاد الكفر عُنوة، وبنوا المساجد لعبادة الله، وعلموا الشريعة التي كانت نورا وهدي للناس. وبعد طول زمان. قام الكفار عليهم، وأجمعوا علي حربهم، وهزموهم هزيمة منكرة. وترأسوا عليهم. وأوَّلُ شئ فعله الكفار فيهم: هو منعُهم من جهاد الأمم، وكيف يمنعونهم من جهاد الأمم؟ قالوا لهم: شريعتكم تكون لكم، ويكون الجهاد فيكم، لافي الأمم. بمعني نهي الفساق منكم عن الفسق. ومن يسكن بينكم في مدنكم؛ فإنه يلتزم بشريعتكم، ويكون الجيل الثالث(١) منهم يهودا مثلكم. ومن يسكن بينكم من أعدائكم غير ابن الزني يكون الجيل العاشر منهم يهودا مثلكم، ولا نمنعكم من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ما دمتم ملتزمين بالسكوت عن الجهاد. وإن اجتمعتم لتتشاوروا في الحرب، لرفع نير العبودية عنكم. فإننا سنمنعكم من أي اجتماع، حتي ولو كان لإقامة الصلوات. وفي هذا المعني يقول الله تعالي: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ** ﴾ (النساء: ٧٧) .. الخ

وقد خاف علماء بني إسرائيل من أمم الكفر، واتفقوا علي تحريف التوراة علي أن تكون شريعة لهم، لا للامم، وعلي أن يكون الدين صلاة وزكاة، ويكفوا أيديهم عن قتال الأمم. ولما كان قتال الأمم، تبعثه في نفوس المتقين؛ النصوص عن يوم القيامة؛ والمجازاة بجنات الفردوس: اضطروا إلي وضع النصوص عن يوم القيامة بأسلوب لا يفهمه أحد من أهل الكفر. هكذا:

قال الله لإبراهيم: «أنا الله القدير. سر أمامي، وكن كاملا». (تك ١٧: ١)

أي امش بين الناس، وعرفهم بي، ليعبدوني. وكن قدوة لهم في عمل الخير. والسَّيرُ أمام الله هو الجهاد بالكلمة وبالسيف؛ لأنه لو سار ودعا، سيسمع له الأخيار،

وسيتعرض له الأشرار بالعصي والسيوف؛ لئلا يضيع ملكهم ومالهم. وفي هذه الحالة سيدافع عن نفسه. فتنشأ الحرب. ويقتل من يقتل، ويحيا من يحيا. وما جزاء من يقتل؟ وضحه الله بقوله لإبراهيم: «أنا تُرس لك. أجرك كثير جدا» (تك ١٥: ١) إنه يقول له: سر امامي، ولا تخف من الأشرار. أنا ترس لك. أي أنا الذي سأحميك منهم. ثم بين له ثواب الجهاد قبل القتل وبعد القتل. وهو: «أجرك كثير جدا» في الدنيا وفي الآخرة. وجزاء الدنيا يكون لمن جاهد وبقي حيا. وجزاء الآخرة يكون لمن قتل في المعركة. والذي بقي حيا. وورث الأرض وعاش فيها لأجله، سيكون له أيضا جزاء الحسني في الدار الأخرة، فإن أهل الكتاب وهم أبناء إبراهيم يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا.

وفي هذا المعني جاء في القرآن الكريم: ﴿ **وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ (العنكبوت: ٢٩) ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ (القصص ٥٢–٥٤).

وغيَّر علماء بني إسرائيل نصوص التوراة عن فتح بلاد الكفر لنشر الإسلام فيها. ووضعوها بأسلوب لا يفهم منه الكافرون أنها تدل علي قتال أعداء الله. هكذا:

أ ـ «إذا خرجت للحرب علي عدوك، ورأيت خيلا ومراكب. قوما أكثر منك، فلا تخف منهم؛ لأن معك الرب إلهك الذي أصعدك من أرض مصر. وعندما تقتربون من الحرب، يتقدم الكاهن ويخاطب الشعب ويقول لهم: اسمع يا إسرائيل. أنتم قربتم اليوم من الحرب علي أعدائكم. لاتضعف قلوبكم. لاتخافوا ولاترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم. إن الرب إلهكم سائر معكم، لكي يحارب عنكم أعداءكم؛ ليخلصكم. ثم يخاطب العرفاءُ الشعب قائلين: من هو الرجل الذي بني بيتا جديدا ولم يدشنه؛

ليذهبْ ويرجع إلي بيته؛ لئلا يموت في الحرب؛ فيدشنه رجل آخر. ومن هو الرجل الذي غرس كرما ولم يبتكره؛ ليذهب ويرجع إلي بيته؛ لئلا يموت في الحرب؛ فيبتكره رجل آخر. ومن هو الرجل الذي خطب امرأة ولم يتخذها؛ ليذهب ويرجع إلي بيته؛ لئلا يموت في الحرب فيأخذها رجل آخر ... الخ».

لاحظ أن:

١ ـ العدوّ لليهود.

٢ـ وأن الله ترس لليهود وعون لهم.

فمن هم أعداء اليهود الذين سينصرهم الله عليهم؟ إن الله ينصر من يسير أمامه لدعوة الناس إلي معرفته وتسبيحه وتعظيمه. فيكون أعداء اليهود الخارجون لقتالهم هم أمم الكفر، الذين يصدون عن سبيل الله من آمن، يبغونها عوجا. فأعداء اليهود في ذلك النص هم الكفار.

ب ـ «حين تقرب من مدينة، لكي تحاربها؛ استدعها إلي الصلح».

ما المراد بالمدينة؟ إنها مدينة أعداء الله الذين هم من أهل الكفر. لا مطلق مدينة. وذلك لأن نصرة الله لا تكون ـ بحسب النصوص ـ إلا للمجاهدين في سبيله. وقوله: «استدعها إلي الصلح» معناه: ادعها إلي دينك، وعرفها بالله. وهي إما أن تجيب، وإما أن لا تجيب بعد الدعوة إلي الدخول في الدين.

ج ـ «فإن أجابتك إلي الصلح، وفتحت لك. فكل الشعب الموجود فيها، يكون لك للتسخير، ويُستعبد لك».

والمعني: إذاقبلتْ الدخول في الدين، واستسلمت لله تعالي. فإن أهلها يكونون مرءوسين لليهود، وخاضعين لهم. وذلك لأن الله تعالي قال لإبراهيم عليه السلام: إن الأمم ستتبارك في نسلك. وإن النسل الذي يفتح بلدا. يكون منه ملوك علي البلد الذي فتحوه. فيحكموهم بحكم الله. فالرئاسة علي البلاد المفتوحة تكون في النسل الفاتح.

ودليل هذا : قوله عن سارة : « وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها . فتكون أمما . وملوكُ شعوب منها يكونون » (تك ١٧ :١٦) وقوله عن عموم نسل إبراهيم : « وأجعلك أمما، وملوك منك يخرجون » . (تك ١٧ :٦)

فالشعب الذي سيكون مسخرا، هو الشعب المرءوس من اليهود . حتي يدخل الإيمان في قلوبهم .

د ـ « وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربا؛ فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلي يدك؛ فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل مافي المدينة . كلٌّ غنيمتها؛ فتغتنمها لنفسك . وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك » .

لاحظ قوله:

أ ـ « وإن لم تسالمك » .　　　　ب ـ « وعملت معك حربا » .

وهما يعطيان حكمين:

الأول : أن مدينة الكافرين إذا لم تسلم وسالمت . فلا يصح حربها، لإكراه الناس بالقوة علي قبول شريعة موسي .

والثاني : إذا ظلت علي الكفر ولم تسالم، واستعدت للحرب . فالحكم : هو الحصار والقتال . وفي حالة الانتصار علي الكفار، يُقتل الذكور المحاربون بحد السيف، والأطفال يكونون عبيدا للمسلمين، والنساء يكن جواري للمسلمين عبيدا يتوارثون، ولا يُفكّون بالمكاتبة، فإن العبد الذي لا يتوارث ويُفَكُّ؛ هو العبد الذي يكون من بني إسرائيل، لا الأمم . (لا ٢٥ : ٣٩)

وما يُنتفع به من الشجر والحيوان وشبهه يكون غنيمة للمسلمين . وقوله : « وتأكل غنيمة أعداءك » دليل علي حل الغنائم في شريعة التوراة .

هذا في المدن البعيدة . أما في المدن القريبة من أرض فلسطين وهي مدن :

١) الحثِّيين ٢) والأموريين ٣) والكنعانيين ٤) والفرزيين ٥) والحويين ٦) واليبوسيين، فالحكم: أنه « لا يستبق منها نسمة ما » لا من الذكور المحاربين، ولا من النساء، ولا من الأطفال.

وكاتب التوراة يموه بهذا الحكم علي تحريف التوراة. فإن المدن الست هؤلاء. كانوا قد دخلوا في دين موسي في حياة موسي ويشوع وطالوت وداود وصاروا من المسلمين. فما فائدة أن يتحدث عن مدنهم. ومدنهم لم يعد لها وجود بين مدن الكفر؟ وتقسيمه للقريب والبعيد من المدن. هو خداع لأهل بابل الباسطين أيديهم علي اليهود ـ وهم وثنيون ـ ذلك لأنهم يقولون لهم: نحن نتكلم عن أمم بعيد. وإذ قد جعلنا الشريعة لنا؛ فإن هذا الحكم كحبر علي ورق.

ثم إن عُـزَيرا وهو يكتب كتاب التوراة. راعي أن يبين لبني إسرائيل: أن التوراة شريعة. وعليها ثواب وعقاب. ولابد منهما. لقوله: « ذنبها عليها ».

(عد ١٥ : ٣١١)

ومن مات ولم ينل ثوابا أو عقابا. في هذه الحياة الدنيا؛ فسوف ينال في الحياة الآخرة. ولخوفه من أهل بابل، رأي وضع النص عن يوم القيامة محتملا للدنيا أو للآخرة. هكذا:

« أليس ذلك مكنوزا عندي. مختوما عليه في خزائني. لي النقمة والجزاء. في وقت تزل أقدامهم؟ » (تث ٣٢ : ٣٤ ـ ٣٥) ولكن السامريين رأوا وضعه غير محتمل إلا للجزاء في الآخرة فقط. ولذلك كتبوا في توراتهم: « إلي يوم الإنتقام » ولم يُحرف عَزْرا نصوص الزبور عن يوم القيامة. وقد كان داود قبل سبي بابل الذي حرفت فيه التوراة بنحو ستمائة عام. وهذايدل علي أن غرضه من وضعه في توراة موسي واضحا للعلماء فقط؛ هو الخوف من أهل بابل، لا أنه يريد محو عقيدة البعث من نفوس بني إسرائيل.

دفاع « ابن كمونة » عن خلو التوراة من ذكر البعث:

يقول ابن كمونة : « واعتقدت اليهود : أن ثواب الطاعة هو الخلود في نعيم الجنة، والعالَم الآتي. وعقاب المعصية هو العذاب في جهنم، من غير خلود لمعتقد هذه الشريعة، وإن كان عاصيا. ولم يبين شئ من ذلك في التوراة تبيينا مصرُحا، للسبب الذي سنذكره. ولكن أحبار الأمة وعلماءهم، ونقلة شرعهم نقلوه » أ هـ.

ورد عليه « ابن المحرومة » النصراني بقوله « هذاالاعتقاد زيادة علي ما في التوراة؛ لأنها ما ذكرته، لا تعريضا ولا تصريحا. والملة التي تعتقد ماليس في كتابها خارجة عن حكم شارعها، وقادحة في تشريعه ».

وماهو السبب؟

يقول ابن كمونة : إن عبّاد الأوثان كانوا يؤمنون بالبعث، ولايؤمنون بالله؛ فركزت التوراة علي محو عبادة الأوثان. ولم تذكر البعث؛ لأنهم يعرفونه.

الرد علي ابن المحرومة:

قوله : إن التوراة ماذكرته لاتعريضا ولا تصريحا. ينقضه ما جاء في الأناجيل من استشهاد المسيح عيسي نفسه بآيات منها تدل علي البعث. وما استشهد به إن لم يكن تصريحا. فإنه تعريض. فإنه لما قال الصَّدُّوقيُّون : ليس قيامة. رد بقوله : « وأما من جهة قيامة الأموات، أفما قرأتم ماقيل لكم مِنْ قبل الله القائل : أنا إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب، ليس الله إله أموات بل إله أحياء » (متي ٢٢ : ٣١ - ٣٢) يريد أن يقول : إن الله في التوراة قال لموسي : أنا إله آبائك. ولو كانوا أمواتا ماتحدث عنهم. فإذاً هم أحياء عند ربهم يرزقون. فإذاً توجد حياة من بعد الموت.

وينقضه أيضا : تصريح المسيح عليه السلام بالبعث، إذ كيف يصرح به لو لم

يكن مذكورا في كتاب موسي. وهو ما جاء لنسخه، ولا للزيادة عليه، بل لتفسيره تفسيرا حسنا؟

والرد على ابن كمونة:

إن ابن كمونة في هذاالموضع أشبه بسكران، لايعي مايقول. فإنه قال: يجب علي النبي الحقيقي أن يعرِّف الناس بأمر البعث. وموسي نبي حقيقي، يجب عليه ـ حسب كلامه ـ أن يعرف الناس به، سواء كانوا عباد أوثان أو غير عباد أوثان. فلماذا سكت عن تعريف عباد الأوثان به؟

قال ابن كمونة:

« ويجب أن يكون الأصل الأول في مايسنُّه النبي الحقيقي أن يعرف الناس أن لهم صانعا واحدا، حيا، قادرا، لاشريك له في ملكه، ولاشبيه ولا نظير، عالما بالسر والعلانية، ولا يعزب عن علمه شئ في السموات ولافي الأرض، وأن من حقه أن يطاع. وأنه قد أعدَّ السعادة لمن أطاعه، والشقاوة لمن عصاه، وأن يقرر عندهم أمر المعاد الأخروي، وأن هناك من اللذة الأبدية ما هو ملك عظيم. ومن الألم ما هو عذاب مقيم. وإذ ليس هذا النبي مما يتكرر وجود مثله، في كل وقت، لكون المادة التي تقبل كمال مثله، لا تقع إلا في قليل من الأمزجة. فمن الواجب أن يلزم الناس بأفعال وأعمال، يسنّ تكرارها عليهم في مدد متقاربة، وتكون مقرونة بما يذكر بالله والمعاد؛ لئلاينسي ذلك مع انقراض القرن، الذي يلي النبي، أو بعده بقليل. وتلك هي العبادات؛ كالصلوات والصيام والحج والجهاد والقرابين والزكوات، وغير ذلك من أفعال أو ترك أفعال، يأمرهم بها، وينتفعون بها، في الدنيا والآخرة » اهـ بنصه

ونرد عليه بحسب كلامه فنقول:

ومن أوجب الواجبات علي صاحب التوراة: بيان الحق في أمر البعث. فإن من الناس من يقرّ به، ويعتقد في انتقال الأرواح من جسد إلي جسد، وبعضهم يعتقد في

بعث الأرواح مجردة عن أجسادها . وبعضهم يعتقد في عدم تأبيد العذاب علي العصاة من أهل التوحيد .

نص كلام ابن كمونة:

قال ابن كمونة : إن المعترضين علي كون التوراة من الله قالوا : «إن هذه التوراة لم نجد فيها تصريحا بالثواب والعقاب الأخرويين ـ وذلك من أهم ما يُذكر، وهو الأصل الأعظم في التشريع ـ فلو كانت التوراة التي بأيدي اليهود منزلة من الله ـ تعالي ـ لماجاز خلوها من التصريح بذلك، والعدول عنه، إلي الدنيويَّيْن، اللذين قد أكثر من ذكرهما في التوراة، فإن الدنيا زائلة، ولا اعتداد بنعيمها ولا شقائها . ولو سلمنا الاعتداد بها؛ فالتجربةُ اقتضتْ : أنَّ النعيم في الدنيا غير مختص بالصالحين، وإن الشقاء منها لا يختص بالعصاة الطالحين، فكم من صالح مطيع؛ شقي، وكم من فاسق وكافر؛ سعيد . والله يتعالي عن الخلق في وَعْده ووعيده، وإن يخبر بوقوع ما لا يقع، أو يقع الأمر بخلافه .

وجوابه:

إنَّ خُلُوَّ التوراة من التصريح بذلك لايضر . إذْ كان قد أُنزل علي موسي ـ عليه السلام ـ وخاطب به بني إسرائيل، واستفاض منهم .

فإن قيل: فلم لم يكتبه في التوراة مصرحا؟

قيل : إن الأمور الإلهية لاتجوز المعارضة فيها ولاالسؤال عنها . فربما يكون ذلك لحكمة لا نعرفها . ثم إن الأنبياء أطباء النفوس بشهادة الله لهم . وكما أن طبيب الأبدان يُعالج المرض الحاضر في البدن لاغير . فكذلك طبيب النفوس الذي هو النبي . يداوي مرض نفوس الناس علي حسب ما يجده في زمانه . وأهل زمان موسي لم يكونوا من

المنكرين لثواب الآخرة وعقابها. وكان غرضهم: عبادة الأصنام والكواكب وغيرها. وبالجملة: عبادة غير الله ـ تعالي ـ واعتقادهم: أن بعبادتها وتقريب القرابين لها؛ تعمر الأرض، وتخصب البلاد، وتصح ثمار الأشجار. وكان علماؤهم ونُسَّاكهم وأهل التقوي منهم. يُعظون الناس ويعلمونهم: أن الفلاحة التي بها قوام وجود الإنسان إنما تتم وتجئ علي الاختيار. بأن تعبدوا الشمس والقمر، وإن أسخطتموهما بعصيانكم؛ أقفرت البلاد وخربت. وقالوا في كتبهم التي ذكرناها: أن «المشتري» سخط علي البراري والصحاري ولذلك صارت عادمة الماء، وعادمة الأشجار، ويأويها الغيلان. وكانوا يعظمون الفلاحين والأكَّارين جدا؛ لاشتغالهم بعمارة الأرض التي هي من إرادة الكواكب ـ وهو رضاها.

وفي كتاب «الفلاحة النبطية» عن الكَرْم. كلام للصائبة وهو: أن الحكماء القدماء كلهم والأنبياء قد أمروا وفرضوا أن يُضرب بالآلات في الأعياد، وبين أيدي الأصنام؛ لأن الآلهة يعجبها ذلك، وأنها تكافئ فاعليه أحسن مكافأة. وأكثروا في هذا الفعل من الوعد والوعيد علي ذلك، من تطويل الأعمار، ودفع الآفات، وصرف العاهات، وخصب المزارع وذكاة الثمار.

فلما شُهرت هذه الأمور حتي ظُنت يقينا، وأراد الله ـ تعالي ـ رحمة منه، محو هذا الغلط من الأذهان، ورفع هذا التعب عن الأجساد، بتعطيل تلك الأعمال الشاقة الغير مفيدة؛ أخبر علي لسان رسوله موسي: أنه إن عبدت هذه الكواكب والأصنام، انقطع المطر وخربت الأرض فلم تنبت شيئا، وسقطت ثمار الأشجار، وحلت الآفات والعاهات بالأجسام، وقصرت الأعمار. وبالإقبال علي عبادة الله ـ تعالي ـ تنزل الأمطار، وتخصب الأرض، وتصلح الأحوال، ويصح الجسم، وتطول الأعمار. وكرر هذا الوعد والوعيد في عدة مواضع من التوراة؛ ليزول ذلك الرأي، وينمحي أثره من النفوس، فتبرأ من مرض هذه العقيدة، وما يتسبب عنها من الفساد. ولو كان مرضهم إنكار البقاء الأبدي للنفوس بعد الموت، والثواب والعقاب فيه؛ لكان قد كرر ذكره في

التوراة؛ للتأكيد والتقرير. ولما لم يكن الأمر كذلك؛ اقتنع باستفاضته بين الأمة؛ والتعريض به.

ولهذا كانت اليهود معتقدة ومقرة بالبعث والنشور للأموات، وببقاء النفوس بعد موت الأجساد. وتناقلوا بذلك خلفا عن سلف، وترحموا علي موتاهم، وأذعنوا بالتوبة عند ظنهم حلول الأجل، ولقنوا من أوجبوا قتله ـ حدا أو قصاصا ـ عندما يريدون قتله أن يسأل الله ـ تعالي ـ أن يجعل قتلته كفارة عن ذنبه، بحيث يتخلص من عقاب الذنب في الآخرة، وأوجبوا ذكر الإيمان بإحياء الموتي في الصلاة وغير الصلاة، وعند اجتيازهم بمقابر أمتهم» اهـ بنصه.

والرد عليه:

قوله: إن بني إسرائيل كانوا مأمورين بدعوة أهل الأوثان إلي الله. هو قول صحيح، وذلك لأن معني سَيّْر إبراهيم أمام الله: هُوَ : لها. وهو يدل علي أن دعوة موسي عامة لجميع الأمم والشعوب إلي أن يأتي النبي الأمي الموعود به في [تث ١٨] فلماذا خالف قومه، في قولهم: إنها كانت خاصة لبني إسرائيل وللساكنين بينهم من غيرهم؟ يقول ابن كمونة عن عموم دعوة موسي ما نصه: «فكل الأمم داخلون تحت التكليف بما أمرهم الله به علي لسان أنبيائه، قبل موسي ـ عليه السلام ـ وعلي لسانه أيضا، وبنو إسرائيل مكلفون بما أمر به الأمم قبل موسي، وبزيادة خصهم الله بها علي لسان رسوله موسي ـ عليه السلام ـ تشريفا لهم، وعناية بهم».

ويقول ابن كمونة: إن الأممي المرتد عن شريعة موسي؛ يُقتل. ذاك قوله: «وجعل من التزم من الأمم بما كُلف به بنو إسرائيل؛ كالسبت وغيره، مما يخصهم، جاريا مجراهم، بحيث لو عاد عن التزام ذلك؛ وجب قتله» اهـ.

وإذا كانت دعوة موسي لليهود وللأمم. وإذا كان من الواجب علي النبي الحقيقي أن يُظهر أمر البعث، سواء أكان معروفا للأمم أو كان غير معروف؛ فإن السبب في سكوت التوراة عن أمر البعث ـ كما يدعي المدعي ـ لا يكون هو معرفة الأمم له، بل يكون في أن الأمم لايريدون أن يجاهد بنو إسرائيل في سبيل الله؛ حتي لا تُسبي

أولادهم ونساؤهم، وتؤخذ أموالهم وبلادهم، ويُحرمون من حظوظ النفس الأمَّارة بالسوء.

ولماذا وافقوا الأمم، وقعدوا عن الجهاد، وألغزو المعاني الشرعية المنصوص عليها في التوراة؟ لأن في قلوبهم مرض. وزادهم الله مرضا. فإن أهل القرآن في زماننا هذا، لمااجتمعت عليهم الأمم وفرقوهم إلي أحزاب وشيع. وحرّموا عليهم الجهاد في سبيل الله؛ صبروا حتي يدور الزمان، وتتغير الأحوال. وما رضوا بتحريف نص، ولا إلغاز معني. لأنه ليس في قلوبهم مرض كعلماء بني إسرائيل الفسقه، ولأن القرآن ليس في فئة من فئات المسلمين، كما كان حال التوراة في سبط واحد من أسباط بني إسرائيل.

ويستثني من الذين في قلوبهم مرض. كثيرون من الصالحين. كالأنبياء، والصديقين والشهداء. فإنهم بينوا بالحق، وما خافوا فيه لومة لائم. ها هو كاتب سفر المكَّابيين يقصُّ الحق في أمر البعث. ويرفضون سفره. وليس من سبب للرفض إلا تصريحه بالبعث للأمي والعالم. وغيره قدقال الحق في أمره، بغير وضوح للأميين. فلم يُرفض سفره.

نص من التوراة علي يوم القيامة

ففي الأصحاح السابع من سفر المكَّابيين الثاني ما نصه:

«وقُبض أيضا علي سبعة إخوة مع أمهم، فكان الملك يريد أن يكرههم علي تناول لحم الخنزير المحرم، فيعذبهم بالسياط وأطناب الثيران. وجعل أحدُهم نفسَه لسان حالهم فقال: ماذا تبتغي أن تسألنا وأن تعرف عنا؟ إننا مستعدون لأن نموت ولا نخالف شرائع آبائنا. فحنق الملك وأمر بإحماء المقالي والقدور. ولما أُحميت، أمر لساعته بأن يقطع لسان الذي جعل نفسه لسان حالهم، وأن يسلخ جلد رأسه وتجدع أطرافه علي عيون إخوته وأمه. ولما أصبح عاجزا تماما، أمر بأن يُدني من النار، وفيه رمق من الحياة، ويقلي. وفيما كان البخار منتشرا من المقلاة، كان الآخرون هم وأمهم يحث بعضهم بعضا أن يقدموا علي الموت بشجاعة، قائلين: إن الرب الإله ناظر، وهو يرأف

بنا حقا، كما صرح موسي في النشيد الذي يشهد أمام الجميع بقوله: «وبعبيده يرأف».

ولما فارق الأول الحياة علي هذا الوجه، ساقوا الثاني إلي التعذيب، ونزعوا جلد رأسه مع شعره، ثم سألوه: هل تأكل لحم الخنزير قبل أن تعاقب في جسدك عضوا عضوا؟ فأجاب بلغة آبائه(١) وقال: لا، ولذلك ذاق هو أيضا بقية العذاب كالأول. وفيما كان علي آخر رمق قال: إنك أيها المجرم تسلبنا الحياة الدنيا، ولكن ملك العالم، إذامتنا في سبيل شرائعه، سيقيمنا لحياة أبدية (١).

وبعده عذبوا الثالث، وأمروه فدلع لسانه لساعته وبسط يديه بقلب جليد، وقال بشجاعة: إني من السماء أوتيت هذه الأعضاء، وفي سبيل شرائعها أستهين بها، ومنها أرجو أن أستردها. فبهت الملك نفسه والذين معه من بسالة ذلك الفتي الذي لم يبال بالعذاب شيئا.

ولما فارق هذه الحياة، عذبوا الرابع ونكلوا به بمثل ذلك. ولما أشرف علي الموت، قال: خير أن يموت الإنسان بأيدي الناس ويرجو أن يقيمه الله، فلك أنت أن تكون قيامة للحياة. ثم ساقوا الخامس وعذبوه. فحدق إلي الملك وقال: إنك بما لك من السلطان علي البشر، مع أنك قابل للفساد، تفعل ما تشاء. ولكن لا تظن أن الله قد خذل ذريتنا. إصبر قليلا فتري قدرته العظيمة، كيف يعذبك أنت ونسلك.

وبعده ساقوا السادس، فلما أشرف علي الموت قال: لا تغتر بالباطل، فإننا نحن جلبنا علي أنفسنا هذا العذاب، لأننا خطئنا إلي إلهنا، ولذلك جري لنا مايقضي بالعجب. وأما أنت فلا تحسب أنك تبقي بلاعقاب، بعد أن أقدمت علي محاربة الله.

وكانت أمهم أجدرهم جميعا بالإعجاب والذكر الحميد، فإنها عاينت بنيها السبعة يهلكون في مدة يوم واحد، وصَبَرَتْ علي ذلك بشجاعة، بسبب رجائها للرب

. وكانت تحرض كلا منهم بلغة آبائها، وهي ممتلئة من المشاعر الشريفة، وقد أضفت علي كلامها الأنثوي بسالة رجولية، فكانت تقول لهم: لست أعلم كيف نشأتم في أحشائي، ولا أنا وهبتكم الروح والحياة، ولا أنا نظمت عناصر كل منكم. ولذلك فإن خالق العالم الذي جبل الجنس البشري والذي هو أصل كل شئ، سيعيد إليكم برحمته الروحَ والحياة، لأنكم تستهينون الآن بأنفسكم في سبيل شرائعه.

وظن أنطيوخُس أنه يسخر به. ورأي في هذا الكلام إهانة، فأخذ يحرض بالكلام أصغرهم الباقي، بل أكد له بالقسم أن يغنيه ويسعده، إذاترك سنن آبائه. ويتخذه صديقا له ويقلده المناصب إلا أن الفتي لم يُصغ لذلك البتة، فدعا الملك أمه وحثها إن تشير علي الفتي بما يؤول إلي خلاصه. وألح عليها كثيرا حتي قبلت بإقناع ابنها. فانحنت عليه واستهزأت بالطاغية العنيف، وقالت بلغة آبائها: يابني ارحمني أنا التي حملتك في أحشائها تسعة أشهر، وأرضعتك ثلاث سنوات، وعالتك وبلغتك إلي هذه السن وربتك. أسألك يا ولدي أن تنظر إلي السماء والأرض، وإذا رأيت كل ما فيهما، فاعلم أن الله صنعهما من العدم وأن جنس البشرهو كذلك. فلاتخف من هذا الجلاد، بل كن جديرا بإخوتك واقبل الموت لألقاك مع إخوتك بالرحمة.

وما أن انتهت من كلامها حتي قال الفتي: ماذاأنتم منتظرون؟ إني لا أطيع أمر الملك، وإنما أطيع أمر الشريعة التي أُلقيت إلي آبائنا عن يد موسي. وأنت أيها المخترع كل شر علي العبرانيين، إنك لن تنجو من يدي الله. فنحن إنما نتألم من أجل خطايانا. وإن سخط علينا ربنا الحي حينا قليلاً؛ لمعاقبتنا وتأديبنا، فسيصالح عبيده من بعد. وأما أنت أيها الكافر، ياأقذر كل بشر، فلاتتشامخ باطلا ولاتعلل النفس بالآمال الكاذبة وترفع يدك علي عبيده، لأنك لم تنج إلي اليوم من قضاء الله القدير الرقيب. ولقد صبر إخوتنا علي ألم ساعة، سعيا لحياة لا تزول، وسقطوا في سبيل عهد الله. وأما أنت فسيحل بك، بقضاء الله، العقابُ الذي تستوجبه بكبريائك. وأنا كإخوتي أبذل

جسدي ونفسي في سبيل شرائع آبائنا، وأبتهل إلي الله أن لايبطئ في توفيق أمتنا وأن يحملك، بالمحن والضربات، علي الاعتراف بأنه هو الإله وحده، عسي أن يحل علي وعلي إخوتي غضب القدير الذي ثار علي أمتنا بالعدل!

فحنق الملك لمرارة الاستهزاء فزاده تعذيبا علي إخوته وهكذا فارق الفتي الحياةَ غير مدنس، وقد وكل إلي الرب كل أمره. وفي آخر الأمر ماتت الأم بعد بنيها» اهـ.

(٢ مك٧)

التلازم بين الجهاد والبعث فى الإنجيل:

ولد المسيح عيسي بن مريم - عليه السلام - بعد احتلال أهل الروم لفلسطين بثلاث وستين سنة. وكان اليهود في ذلك الوقت من الزمان غير قادرين علي الجهاد في سبيل الله بسبب ضعفهم. وكانوا يدفعون الجزية لأهل الروم، وهم يشعرون بالضيق والحرج. وذلك لأن التوراة تحرم عليهم أن يملكهم أجنبي عن نسل إبراهيم - عليه السلام - لقوله: «من وسط إخوتك تجعل عليك ملكا. لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا. ليس هو أخاك». (تث ١٧ : ١٥)

وهم من هذا النص مكلفون شرعا بإزالة أهل الروم عنهم، إن لم يكونوا مكلفين بالجهاد. فكيف وهم مكلفون به؟ ولذلك قالوا لعيسي عليه السلام: «يامعلم. نعلم أنك صادق، ولا تبالي بأحد؛ لأنك لا تنظر إلي وجوه الناس، بل بالحق تعلم طريق الله. أيجوز أن تعطي جزية لقيصر أم لا؟ نعطي أم لانعطي؟ فعلم رياءهم وقال لهم: لماذا تجربونني؟ ايتوني بدينار؛ لأنظره. فأتوا به. فقال لهم: لمن هذه الصورة والكتابة؟ فقالوا له: لقيصر. فأجاب يسوع، وقال لهم: أعطوا ما لقيصر لقيصر. وما لله لله. فعجبوا منه». (مر ١٢ : ١٤ - ١٧)

إنهم يريدون دفع الروم عنهم بالقتال،؛ لأنهم ليسوا من إخوتهم. وهم غير قادرين علي دفعهم. فبماذا نصحهم المسيح؟ نصحهم بأن يستمروا في دفع الجزية لهم،

حتي يقدروا عليهم . وإذا قدروا عليهم خرجوا من حالة الضرورة إلي حالة الاختيار . ووجب عليهم القتال وجوبا عينيا .

وهو - عليه السلام - قد أوجب الجهاد علي أتباعه . إذاكانوا قادرين عليه بالكلمة والحيلة والسيف . وبين لهم : أن أجرهم عظيم جدا، وأن الله ترس لهم؛ كما بين الله لإبراهيم من قبل . فقد قال لهمك «لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعملون أعمال إبراهيم» (يو ٨ : ٣٩) «الحق أقول لكم : ليس أحد ترك بيتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا؛ لأجلى ولأجل الإنجيل . إلا ويأخذ مئة ضعف الآن في ذا الزمان . بيوتا وإخوة وأخوات وأمهات وأولادا وحقولا، مع اضطهادات، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية . ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين، والآخرون أولين» (مر ١٠ : ٢٩ - ٣١)

فقد بيَّن - عليه السلام - أن المجاهد في سبيل الله . له أجر علي جهاده . وهذا الأجر في هذا الزمان أي في الحياة الدنيا، كما في القرآن الكريم : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (البقرة : ٢٦٠) وفي الزمان الآتي أجر أيضا .

وهل الجهاد بالكلام فقط - أي بالدعوة إلي ملكوت السموات - أم به، وبالقتال؟ إنه بهما معاً . وقد أمر عيسي عليه السلام - بهما معا . ففي بدء دعوته قال لتلاميذه : انطلقوا أولا إلي مدن بني إسرائيل بالكلام، ولا تحملوا معكم سيوفا وعصيا . ثم بعد ذلك قاتلوا بالسيوف والعصي من يصدُّ الناس عن الدخول في دين الله .

ومن كلامه عليه السلام في الوصية الأولي : «لا تحملوا في أحزمتكم ذهبا، ولا فضة ولا نحاسا . ولا تأخذوا للطريق زادا، ولاثوبين ولا حذاء ولاعصا» .

ثم قال : «لا تظنوا أني جئت لأُرسي سلاما علي الأرض، ماجئتُ لأرسي سلاما، بل سيفا . فإني جئت لأجعل الإنسان علي خلاف مع أبيه، والبنت مع أمها، والكنة مع حماتها، وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته، من أحب أباه، أو أمه

أكثر منــي؛ فــلا يستحقني، ومن أحب ابنه أو ابنته أكثر مـــني؛ فلايستحقني... الخ». (متي ١٠)

ومن كلامه في الوصية الثانية: حين أرسلتكم بلاصُرَّة مالٍ، ولا كيس زادٍ، ولاحذاء، هل احتجتم إلي شئ؟ فقالوا: لا، فقال لهم: أما الآن. فمن عنده صرة مال؛ فليأخذها، وكذلك من عنده حقيبة زاد، ومن ليس عنده؛ فليبع رداءه، ويشتر سيفا». (لوقا ٢٢:٣٥-٣٦)

وفي التوراة: أنه لا يحل لليهودي ولا للنصراني أن يُملِّك عليه رجلا من عبَّاد الأوثان. وإذا مَلَك عليه؛ فإنه يجب علي اليهودي أو النصراني وجوبا مؤكدا، مَنْعُه من الملك عليه بالقوة. وهذا منصوص عليه في سفر التثنية، في قوله: «لا يحلُّ لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا، ليس هو أخاك»(تث ١٧:١٥) والمسيح عيسي عليه السلام لم يخالف هذا النص ولم ينسخه، فإنه أمر بحمل السيف وأمر بحمل العصا. ولكن النصاري يزعمون أنه خالف هذا النص ونسخه بقوله: «لا تُقاموا الشرَّ. بل من لطمك علي خدك الأيمن، فحول له الآخر أيضا» (متي ٥:٢٩) والرد عليهم: هو أن:

(أ) جماعة اليهود شئ.

(ب) والأمم شئ آخر.

فاليهودي مع اليهودي يسامح. واليهودي مع الأممي يحارب وقد كان حال اليهود في زمان يسوع، كحالهم في زمان إرمياء. في ظلم بعضهم لبعض، فنصحهم إرمياء بترك الشر، ونصحهم بعدم مقاومته، إنْ وقع علي الضعفاء منهم وذلك لأن العدل ضائع ومفقود. يقول إرمياء: «الرب صالح لمن يرجونه، وللنفس التي تلتمسه. خير للمرء أن ينتظر بصمت خلاص الرب، خير للمرء أن يحمل النِّير في حداثته. ليعتكف وحيدا في صمت؛ لأن الرب قد وضع النير عليه، ليوار وجهه في التراب تذللا، عسي أن يكون هناك رجاء، ليبذل خده للاَّطم، ويشبع تعييرا؛ لأن الرب لا ينبذ إلي الأبد». (مراثي ٣: ٢٥-٣١)

وقول التوراة: «لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا؛ ليس هو آخاك» كان يدفع اليهود إلي قتال الأمم سرا وعلانية. ويتقربون بقتلهم إلي الله تعالي وكانوا يجندون نساء لهذا الغرض في السر، ومن تفلح منهن في قتل ملك من ملوك الكفار، يخلدن ذكراها بالثناء عليها، ثناء عاطرا، ومن النساء اللائي قتلن ملكا: «أستير» المشهورة بالنجمة، فإنها قتلت «أليفانا» بالحيلة. وقصتها مدونة في سفر من أسفار التوراة. وعيدها يسم بعيد الفوريم.

وإلي هذا اليوم يقوم اليهود بالاغتيالات في بلاد المسلمين وغيرهم؛ ظانين أنها تقربهم إلي الله. مع علم الرؤساء منهم بأن دينهم قد نُسخ وزال ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (آل عمران: ٨٥).

عاشراً: عداوة النصاري لمحمد ﷺ

وقال القسيس: «قاعدة ديننا مبنية علي تكذيب محمد، والعمل علي عداوته».

والقسيس صادق في قوله هذا؛ لأنه جاء في القرآن الكريم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾ (آل عمران: ١١٨-١٢٠).

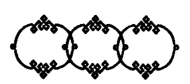
وعداوة النصاري للمسلمين ليسوا مأمورين بها من عيسى عليه السلام، بل من الشيطان الرجيم.

فقد قال عيسى عليه السلام: «سمعتم: أنه قيل: تحبُّ قريبك وتُبغض عدوك.

وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، باركوا لا عنيكم. أحسنوا إلي مبغضيكم. وصلُّوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم؛ لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات. فإنه يُشرق شمسه عليالأشرار والصالحين، ويمطر علي الأبرار والظالمين؛ لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأىُّ أجر لكم». (متي ٥:٤٣ - ٤٦)

وقال القسيس: إن المسيح عيسي في السماء. ومحمد في الأرض مدفون؛ فيكون المسيح أفضل من محمد. وقال: إن المسيح كلمة الله. ومحمد ليس كلمة الله، فيكون المسيح أفضل من محمد.

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين



نـــصُّ المناظرة

قال الشيخ الإمام الأوحد العلاَّمة فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازى ـ قدس الله روحه ـ:

إنه جاء نَصْرانى من أكابر علماء دين النصرانية؛ يدَّعى التَّحقيق والتقرير لدينه؛ فذهبتُ إليه، وشَرَعْنا فى الحديث.

تحرير محل النزاع بين الشيخ والقسيس

فقال لى: ما الدليلُ على نُبُوَّة محمد؟

فقلتُ: كما نُقِل إلينا ظهور الخارق على يد موسى وعيسى وغيرهما، من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ نِقل إلينا أيضا: ظهورُ الخارق على يد محمد ـ عليه السلام ـ فإن رددنا التَّواتر، أو قبلناه، وقلنا: إن المعجزة لا تدل على الصدق؛ فحينئذ تبطلُ نبوة سائر الأَنبياء. وإن اعترفنا بصحة التواتر، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق ـ وإنَّهما حاصلان فى حق محمد عليه السلام ـ وجب الاعترافُ قطعا بنبوة محمد ﷺ ضرورة أن عند الاستواء فى الدليل، لابد من الاستواء فى حُصول المدلول.

فقال النصرانى: إنى لا أقول فى عيسى إنه كان نبيا، بل أقولُ: إنه كان إلها.

فقلتُ له: الكلام فى النبوة لابد أن يكون مسبوقا بمعرفة الإله. وهذا الذى تقوله باطل، ويدلُّ على وجوه:

الوجه الأول:

إن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته، بحيث لايكون جسما ولا مُتَحَيِّزا ولا عَرَضا، وعيسى عبارة عن هذا الشخص البشرى الجسمانى الذى وُجِد بعد أن كان معدوما، وقُتل بعد أن كان حيًا ـ على قولكم ـ وكان طفلا أوَّلا، ثم صار مترعرعا، ثم صار شابا. وكان يأكُل، ويشرب، ويُحْدِث، وينام، وقد تقرَّر

فى بدائه العقول : أن المحدَث لايكون قديما، والمحتاجُ لا يكون غنيا، والممكن لا يكون واجبا، والمتغير لا يكون دائما.

الوجه الثانى فى إبطال هذه المقالة:

إنكم تعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه، وتركوه حيًا على الخشبة، وقد مزقوا ضِلْعه، وأنه كان يحتالُ فى الهرب منهم، وفى الاختفاء عنهم. وحين عاملوه بتلك المعاملات؛ أظهرَ الجزعَ الشديد. فإن كان إلهـا، أو كان الإله حالاً فيه، أو كان جزءٌ من الإله حالافيه فَلِمَ لَمْ يدفعهم عن نفسه؟ ولم لمْ يُهلكهم بالكلية؟ وأى حاجة به إلى إظهار الجزع منهم، والاختفاء، والفرار عنهم؟ وبالله إننى لأتعجب جدا إنَّ العاقلَ كيفُ يليق به أن يقول هذا، ويعتقدَ صحته؟ وتكادُ أن تكون بديهة العقل شاهدة بفساده.

الوجه الثالث:

هو أنه إما أن يُقال : بأن الإله هو هذا الشخص الجسمانى المشاهد، أو يُقال حلَّ الإله بكلِّيته فيه، أو حلَّ بعضُ الإله وجزء منه فيه. والأقسام الثلاثة باطلة :

أما الأول : فلأن إله العالم لو كان هو هذا الجسم، فحين قتلَهُ اليهود. كان ذلك قولا بأنَّ اليهودَ قتلوا إله العالم، فكيف بقى العالم بعد ذلك من غير إله؟ ثم إن أشدَّ الناس ذُلاً ودناءة اليهودُ، والإلهُ الذى تقتله اليهود؛ لإلهٌ فى غاية العجز.

وأما الثانى : وهو أن الإله بكليّته حلَّ فى هذا الجسم: فهو أيضا باطل فاسد، لأن الإله إن لم يكن جسما ولا عرضا؛ امتنع حلولُه فى الجسم، وإن كان جسما. فحينئذ يكون حلوله فى جسم آخر، عبارة عن اختلاط أجزائه بأجزاء ذلك الجسم، وذلك يُوجب وقوع التفرق فى أجزاء ذلك الإله، وإن كان عرضا كان محتاجا إلى المحلِّ، فكان الإله محتاجا إلى غيره، وكلُّ ذلك سخف، ومحض الكفر.

وأما الثالث: وهو أنه حلَّ فيه بعضُ من أبعاض الإله، وجزء من أجزائه :

فذلك أيضا محال؛ لأنَّ ذلك الجزء إن كان مُعتبرا فى الإلهية. فعند انفصاله عن الإله وجب أن لا يبقى الإله إلها، وإن لم يكن مُعتبرا فى الإلهية، لم يكن جزءا من الإله.

فثبت: فساد هذه الأقسام؛ فكان قول النصارى باطلا.

الوجه الرابع فى بطلان قول ذلك النصرانى:

ما ثبت بالتواتر: وهو أنَّ عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة فى العبادة والطاعة لله تعالى، ولو كان إلها لاستحال ذلك؛ لأن الإله لا يعبُد نفسُه.

فهذه وجوه فى غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم.

* * *

ثم قلت للنصرانى: وما الذى دلّ على كونه إلها؟

فقال: الذى دلّ عليه: ظهورُ العجائب عليه من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وذلك لا يمكنُ حصوله إلاَّ بقدرة الله تعالى.

فقلت له: ذلك منقوض بوجوه:

الوجه الأول: تُسَلِّمُ أنه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول أم لا؟ فإن لم تُسَلِّم، لزمك من نفى العالَم فى الأزل نَفْى الصانع. وإن سلَّمت أنه يلزم من عدم الدّليل عدم الدلول. فأقول: لو جوَّزْتَ حلولَ الإله فى بدن عيسى عليه السلام، كيف عرفتَ: أن الإله ما حلَّ فى بدنى وبدنك، وفى بدن كلِّ حيوان ونبات وجماد؟

فقال: الفرقُ ظاهر؛ وذلك أنى إنَّما حكمت بذلك الحلول؛لأنَّه ظهرتْ تلك الأفعال العجيبة عليه، والأفعالُ العجيبة ما ظهرت على يدى ولا على يدك؛ فعلمنا: أن ذلك الحلول ههنا مفقود.

فقلت له: تبيَّنَ الآن أنكَ ما عرفت معنى قولى: ـ وهو أنه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول ـ وذلك أنه إذا كان ظهور تلك الخوارق دالا على حلول الإله

في بدن عيسى عليه السلام، فعدمُ الخوارق منِّى ومنك، ليس فيه إلاَّ أنه لم يُوجد ذلك الدليل. فإذا بيَّنا : أنه لايلزم من عدم الدليل عدم المدلول؛ ثبتَ: أنَّه لا يلزم من عدم ظهور تلك الخوارق منِّى ومنك؛ عدمُ الحلولِ فى حَقِّى وحقك، بل وفى حقِّ الكلب والسِّنَّوْر والفأْر. وإنَّ مذهبا يُؤَدى إلى القول بتجويز حلول ذات الله تعالى فى بدن الكلب والذباب؛ لفى غاية الخِسَّة والرذالة، ومحض الكفر والضلالة.

والوجه الثانى : إن قلب العصا حيَّة. أبعدُ فى العقل من إعادة الميِّت حيًّا، لأن المشاكلة بين بدن الحى وبدن الميت، أكثر من المشاكلة بين الخشبة وبين بدن الثعبان. وإذا لم يوجب قلب العصا حية، كوْنُ موسى إلها، ولا ابنا للإله؛ فبأن لا يدلَّ إحياءُ الموتى على الإلهية أَوْلى.



رد القسيس على الشيخ

فقال النصراني:

أمَّا الجوابُ عما ذكرته أوَّلا من قضية التواتر:

فهو كما قلتَ، ولكن أين التواتر؟ وهل الكلام إلافيه؟ فإنا لا نسلِّم أن المعجز ظاهر على يد محمد بالتواتر، بخلاف سائر الأنبياء، فإنه لَمَّا نُقل إلينا ذلك عنهم بالتواتر، أجمعنا نحن وأنتم عليه، ولا كذلك ما نُقل عن محمد؛ فإنه لو كان بالتواتر؛ لما وقع الخلاف فيه بين أحد من الأُمم، كما لم يقع الخلاف بينهم فى الأشياء المتواترة، وإنما أنتم تدَّعون أنه بالتواتر؛ بمجرّد التحكُّم لاغير؛ بل يشبه تواتركم: ماتدَّعونه من انشقاق القمر نصفين، ولم يرو هذا الحديث إلاَّ واحد منكم. وهو «ابن مسعود». وكيف يصحُّ فى العقل: أن تظهر معجزة؛ لأنْ تكون آية للعالمين، وينظرُ إليها الجميع؛ فيهتزون بسببها على يد الذى ظهرت عليه، ولا يراها إلاَّ واحد من الخلق. هو ابن مسعود؟ ومن هذا الشَّبَه: تواتُرُكم فى جميع ماتدَّعونه من المعجزات.

وأنكم نقلتم عن محمد: أنه لم يصر نَبيًّا إلاَّ بعد أربعين سنة، وماظهر عليه شئ من المعجزات إلا بعد ذلك؛ فكيف كان ذلك محجوبا عنه طول هذه المدة. وهو فى علم الله تعالى ـ على زعمكم ـ نبى، بل وأفضل الأنبياء؟ ومع ذلك لم يزل من حين وُلد إلى أن بلغ، وإلى أن صار شابا وكهلا وشيخا. تارةً فى الرعاية، وتارة فى التجارة إلى أربعين سنة.

فأىُّ مانع منع الله تعالى عن أن يُنَبِّئَه من حين كان طفلا، ويعلِّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، من حين كان صغيرا، وتظهر على يديه المعجزات العظيمة الخارقة للعادة من حين كان صبيا؟ فلو كان السابق فى علم الله تعالى: أن

محمدا نبى، وأفضل الأنبياء لما منعه من ذلك مانع. فإلى أن صار له أربعون سنة. مُفْلسا عن جميع ذلك، مُعَطَّلا عن ذلك كله، فارغا عنه، خاليا منه.

(هذا لا حِكْمة فيه)

فهلاً زعمتم: أن الله تعالى لم يعلم أن محمدا يصير نبيا، ثم علم بعد ذلك؟ وهذاعَيْن الكفر. أو تزعمون: أنه كان قد علم ذلك، ولكنه منعه مانع من «إبليس» أو غيره، أو نَفس محمد بإشتغالها بالدنيا إلى الأربعين؛ فيكونُ الله تعالى حينئذ مقهورا على ذلك؟ وهذا أيضا محض الضلال. أو تزعمون أن الله تعالى ما أراد أن يجعله نبيا، ثم تجددت له الإرادة بعدالأربعين، فبدا له أن يقرِّبه بعد البُعد، وأن يشرِّفه بعد الهوان؟ واعتقاد هذاغاية الجهلِ - وتعالى الله أن تتجدَّد له صفة أو تحدُث له إرادة.

وأما الجواب عن قولك : بأن عيسى ما كان إلها، وأنه عبارة عن هذا الشخص البشرى الجسمانى الذى كان يأكل ويشرب ويُحدث :

فنقول: مُسَلَّم، ونحن أيضا نقول كذلك، ولا نعتقد إلاَّ ذلك: من أنا عيسى الذى تعتقده أيها المسلم بهذه الصفة ما كان إلهًا بل كان بشرا؛ فإنه من المحال أن يُعتقد فى الشخص البشرى الجسمانى الآكل الشارب المحدث: أنه إله - تقدَّس عن جميع ذلك - وكيف نعتقدُ الجمع بين النفى والإثبات، والحق والباطل، والنور والظلمة؟ هذا لايعتقده عاقل. وإنما صانعُ العالمِ هو القديمُ الأزلى، الذى لا يُكَيَّف ولا يُمثَّل، ويظهر لعباده كيف يشاء، وفى أى صورة شاء، ويجوز تسمية تلك الصورة بأى اسم شريف؛ لأن العلم حاصل بأن المسمَّى غيرُ الاسم، والصورةُ غيرالمعنى، وهذالابأس به إذا اعتقدتْه طائفةٌ منا، فإنكم معترفون بانكم منكم طائفة تعتقد: أن الإله صورة وجسم وجالس على العَرْش، وعلى الله تاج من ذهب، وفى رجليه نعلان من ذهب، بل رويتم ذلك كلَّه أو بعضه عن نبيكم فى كتاب «الآجُرِّى» و «عبد القادر الجيلانى» وغيرهما من أئمتكم، الذين تعتقدون أنهم من خير الأمة وأعلمهم. ونقلتم أيضا عن ابن عباس: أنه فسَّر المقام المحمود بجلوس محمد مع ربه على العَرْش. ونقلتم أيضا عن نبيكم أنه قال: «إن الله ينزل كل ليلة

إلى سماء الدنيا».

والنزول والصعود إنما يُطلق على الأجسام؛ فنسبتم إلى نبيكم: أنه اعتقد فى إله العالم: أنه جسم، وأنه فى كل ليلة يَفْتقرُ فى تقربه عباده إليه ولطفه بهم، إلى أنه ينزل ويصعد. ونقلتم عنه أيضا: أنه خلق آدم على صورته، وأنه مسح بيده على ثديى نبيكم؛ فعلم علم الأولين والآخرين، فأثبتم لله تعالى بذلك الجسم والصورة والأعضاء والجوارح والحركة والسكون، إلى غير ذلك من الأحاديث الموهمة للتشبيه والتجسيم، والموهمة للتكييف والتمثيل.

ومنكم طائفة تعتقد: أن الإله حلَّ فى الخمسة الأشباح، وهم صنف من الروافض[1]. ومنكم أيضا طائفة تعتقد أن الإله حلَّ فى «علىٍّ» ومنكم طائفة تدَّعى المكاشفة والمشاهدة والأحوال الشريفة، والأنفاس النفيسة، ومع ذلك تدّعى أيضا: الاتحاد. حتى نقل عن «الحلاج» أنه كان يقول: «أنا من أهوى، ومَنْ أهوى أنا» وعن أبى يزيد أنه كان يقول: «سبحانى ما أعظم شانى» وليس منَّا من اعتقد شيئا من ذلك، بل طائفة منا تعتقدُ مثل ذلك فى عيسى خاصة.

وأما أنتم فقد يقومُ رجل منكم من وراء المحراث، ويدعى ذلك وأضعافَهُ، بل تعتقدون فيه أنه كذلك وأعظمُ من ذلك، بل ومن أجلاف الكُرْد والعرب ورعاة الأبل وسِقْط الناس وجُهَّالهم من قد تلتفُ عليه جماعة بمجرَّد حُسن الظن، وبمجرَّد التعصُّب؛ فيظهرون لذلك شأنا عظيما، ويدَّعى ما ادعاه «أبو يزيدٌ» و «الحلاج» وأعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة.

ثم إذا نُقل حال ذلك النَّصاب إلى أئمتكم وعلمائكم؛ أحسنوا الظن. وقالوا: يُسَلَّم إليه حاله. فيفعلون ذلك. تارة لجهلهم حيث أحسنوا الظن بمن يجب تكفيره، وتارة خوفا من العامّة، إذا رأوهم عاكفين عليه، محبِّين له، مع نسبتهم أولئك فى الباطن إلى الدجَّالية والحشْوية، وغير ذلك من الكفر والبدعة. وأما نحن فليس منا مَنْ ينطلى عليه ذلك ولا بعضه.

وأما الجواب عن صلب عيسى:

فنحنُ لا نعتقد إلاّ صلب جسده. الذى هو الصدَّف لا اللب والجوهر، الذى هو الروح، ونعتقدُ: أن فعْلَ الله تعالى به ذلك؛ إشارةٌ إلى خسيسة عالم الأجساد، تحريضا على التجرُّدَ عنها بالعروج إلى عالم الأرواح. زُهْدا فى العالم الأدنى، ورغبة فى العالم الأعلى، ولأن يَقتدى الأدنى بالأعلى. فإذا رأى الأدنى أن الأعلى الذى له عند الله تعالى كلُّ تلك المنزلة التى تجلُّ عن الوصف، قد ابتُلى بذلك، وكان انتقاله من الدنيا على مثل هذا الحال؛ هانَ عليه كلُّ ما يُبْتلَى به من مصيبة، أو يحلُّ به من آفة، وعمل على الزهد فى الدنيا، والتجرُّد عن الخلق، والتوجه إلى الحقّ.

وأمّا الجواب عمّا ذكرته من أنّ الله تعالى لايخلو: إما أن يكونَ حلَّ كلّه فى عيسى أو بعضه.

فنحنُ لا نقول بذلكْ بل ننكره ونُكفِّر قائله؛ فإنا نقطع بأن الإله لا يتجزَّأُ، ونقطع بأنَّ الإله ما حلَّ فى عيسى. وإنما منَّا طائفة تدَّعى: أنه لا يَبْعدُ أن تكون هذه الصورة العَيْسوية من الصُّور التى يتجلَّى فيها الرب ـ تعالى ـ لعباده، ويظهر فيها لخلقه ـ سبحانه.

وأنتم أيضا من جملة مَنْ يعتقد ذلك؛ فإنكم رويتم عن محمّد بأن الله تعالى يظهرُ لعباده يوم القيامة فى صورة يُنْكرونها، فيقولون: نعوذ بالله منك. ولكن نتمهّلُ إلى أن يأتينا ربُّنا، ثم يظهر لهم فى صورة يعرفونها، فيقول: أنا ربكم؟ فيقولون: نعم . وإذا لم يبعد ذلك فى الآخرة، فكيف يبعدُ أن يظهر كذلك لعباده فى الدنيا، فى صورة عَيْسوية أو مَوْسوية، أو غير ذلك من الصور الشريفة؟ وإذا جاز ظهوره فى الآخرة فى صورة مُنَكَّرة، فكيف لا يجوز ظهوره فى الدُّنيا فى صورة عَيْسوية قُدْسية معظمة، روحانية مطهرة؟

ومع أن هذا الاعتقاد لا تعتقده إلاَّ طائفة منا ـ كما قدّمنا ذكره ـ فأنتم قد رويتم عن محمد: أنه هو الذى قال ذلك. وأخبر به، واعتقده فى كتابه الذى لقَّبتموه بالصحيحين. [مع أن] لقب البر الصّحيحِ لايكون إلا واحدا، كما أن

السقيم لايكون إلا واحدا؛ لأنه ما بعد الصحة إلا السُّقْم، والسقم شئ واحد. فكذلك الصحة، كما أنّه ما ثَمَّ إلا الحق والباطل، والباطلُ شئ واحد فكذلك الحق. وكما أنه يقبُح أن يُقال: حَقَّان وباطلان وسقْمان؛ فكذلك القول فى الصحيحين.

والعجب: أنكم انحصرتم فى الاثنينية، ولم تتعدُّوا فى العدد الذى ليس له حدٌّ ولا حَصْر. فتقولوا: ثلاثة صحاح، وأربعة صحاح، وخمسة صحاح، وإلى ما لا ينتهى؛ بل ارتبطتم على صحيحين اثنين. كأن لم يقبل العدد فى شرعكم من الصحة إلى اثنين، فحصَرَكم فى هذا العدد اليسير، ونفى ما لاحصر له لغيركم من الأمم.

وأما الجواب عن مؤاخذتنا فى أن المسيح ابن الله:

فهذا لسنا نعتقدُه حقيقة. إلا على سبيل التفخيم والتعظيم، كما أنكم تقولون: إبراهيم خليل الله مع أنه يتعالى عن الخُلَّة، وتقولون: محمد حبيب الله، مع أنه يتعالى عن المحبة التى هى عبارة عن الميل والحظِّ والشهوة، وإنما تذكرون ذلك فى معرض التعظيم والتفخيم، فكذلك ما نحن فيه مما تقولُه النصارى فى عيسى. لا أنه ابنٌ حقيقة، وأنه لا يبعدُ أن يُشَرِّف الله تعالى عبداً من العبيد على سائر خلقه؛ فيكونُ محله فى الشرف والقرب محلَّ الولد من الوالد، لا أن يكون ولدا على الحقيقة، ولا والدا فى نفس الأمر.

فهذا معنى ما تقوله بعض النصارى فى عيسى إنه ابن الله، كما تقولون كلّكم فى إبراهيم: إنه خليل الله، وفى محمد: إنه حبيبُ الله. مع تعاليه تعالى عن الخلة والمحبة.

ومع أنكم أخبرتم فى كتابكم عن الله تعالى أنه قال فى اليهود: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ (التوبة: ٣٠) وعن النصارى: ﴿ **وَقَالَتِ النَّصَارَى**

﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (التوبة: ٣٠) فإنه لم يقل ذلك من اليهود إلا رجل واحد، وعلى تقدير أن يقول ذلك طائفة منهم فى ذاك الوقت أو فى هذا الوقت؛ لايلزمُ من قول واحد فى وقت مَّا؛ قولُ الجميع فى جميع الأوقات. وكذلك القول فى النصارى؛ فإنه إذاأخبر الله تعالى بأن النصارى قالوا: ﴿ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ لا يدلُّ ذلك على أن الجميع قالوا ذلك القول، ولا أن ذلك صدر منهم فى سائر الأزمان؛ فإنه ما قال: وقالت النصارى كلُّهم أجمعون، كما قال فى حقّ الملائكة: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (ص: ٧٣)، وإنما قال: ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى ﴾ أى بعض منهم وفى وقت ما. ومع ذلك، فإن ذلك البعض لم يقل ذلك القول إلاَّ بتأويل، كما تأوَّلتم الخليل والحبيب. فكذلك قالوا: الابن. فأىَّ أمر عظيم ترتَّب على ذلك حتى بآلغتم فى التشنيع على اليهود والنصارى، وناديتم عليهم على رؤوس الأشهاد بأن اليهود قالوا: ولم يقل ذلك من اليهود إلاَّ واحد، ومن النصارى إلاَّ من عاند؟

فكيف يحلّ لكم أن تقولوا ذلك، وأن تشهدوا به، وتشنعوا به شرقا وغربا فى جميع الآفاق؟ ثم إذاامتحنتم اليهود والنصارى فى ذلك بالسؤال عنه. ترونهم أبعدَ الناس عن اعتقاده. وأدناهم إلى الإنكار له، مع الاعتراف لله تعالى بالتوحيد والتنزيه والتقديس ونفى التشبيه، لكن الله تعالى صادق فيما أخبر به من أن بعضا منهم قال ذلك القول، وفى وقت مَّا، وبتأويل مَّا؛ لكنكم أنتم أوْهمتم الناس: أن جميع اليهود والنصارى يقولون ذلك فى كلِّ الأوقات، وأنهم يعتقدون ذلك حقيقة، وذلك منكم فيهم عين الافتراء، ومحض البهتان والزُّور.

وأما الجواب عن قضية الدليل والمدلول:

فكما هو لازم علينا، فهو أيضا لازم عليكم؛ فإنه لو قيل: إن «مُسَيْلمة» كان نبيا. لعجزتم عن دَفْع هذا القول. على هذا التقدير؛ لأنكم إذا قُلتم: فما الدليل على أنه كان نبيا؟ كان جوابه لكم: إن عدم الدليل لايدل على عدم المدلول.

رد الشيخ على القسيس

فقال له الإمام فخر الدين ـ رحمه الله تعالى ورضى عنه ـ : خُذ الجواب عن ذلك :

أما قولك أولا : من أنك لا تسلم أن المعجز حصل لنبينا بالتواتر . فهل تشك فى وجود هذاالقرآن الذى هو بين أيدينا الآن ؟ فأى تواتر أصدق وأظهر من شئ تراه بعينك ؟

خُذْ ما تراه، ودع شيئا سمعتَ به

فى طلعة الشمس ما يُغْنيك عن زُحل

فهل تشكُّ فى وجود هذا القرآن ؟

فقال : لا أشك فى وجوده .

فقال : وهل تشكُّ فى أن ذلك من غير محمد ﷺ ؟

فقال : هذا أشكّ فيه؛ لاحتمال أن يكون ساعده الغير، فألّف، إلى أن صار بهذه المثابة .

فقال له الإمام: لو كان كذلك، لأدعى كلّ من أعانه على ذلك : أنه نبى أيضا، وأنه نزل عليه هذا الكتاب؛ فإنه من المحال أن يُظْهر مثل هذا الكتاب غيره ويسكتون عن ذلك حتى يدّعى واحد منهم الأمر الذى خُصَّ به غيره، وتقر تلك الجماعة بأن الأمر كذلك .

ثم قال: وهل تشك فى العجز عن الإتيان بمثله؟

فقال النصرانى: أما الإتيان بمثله من جميع الوجوه؛ فهو الإتيان بعينه، فيكون هو هو؛ وذلك تحصيل الحاصل . وهو محال . وأما الإتيان به من بعض الوجوه . فى الفصاحة مثلا، وفى النظم والنثر، أو الإيجاز والاختصار، أو فى كونه

يهدى إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال؛ فالعلوم الشريفة تشاركه فى ذلك . فى مثله، وهو مثلها من بعض الوجوه .

فقال له الإمام : ليس المراد من الإتيان بمثله، إلا أنْ يظهر كتابٌ شريف فيه علم الأولين والآخرين على لسان رجل أمِّى، لم يتقدم له اشتغال بعلم البتة، ويدعى أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبه، ليكون من المنذرين، ومن النبيين المرسلين، بأدلة باهرة، وحجج قاهرة، ويُبهر بأدلته جميع الملل والنحل، ويقهر بحججه جميع من خالف وبطل . فالمراد من الإتيان : هو هذه المثلية لا ما ذكرته وذهبت إليه .

ثم قال : وأمّا قولك : ما المانع من نبوة محمد ﷺ فى حال الصغر حتى بقى معطَّلا عن النبوة ونشر الرسالة أربعين سنة؟

فالجواب : أن ظهور المملكة على من لم يكن ملكا، بل كان راعيا وحراثا أو تاجرا أكثر عمره؛ لأبلغ فى إظهار القدرة ممن ورثها وراثة، أو أوتيها من أوَّل عمره، ومبدإ زمانه . وأبلغ فى التعجب من ذلك : أنه كان نبيا وآدم بين الماء والطين، وإنما لم تظهر نبوته للخلق إلا بعد الأربعين، فمأخذ الحكمة فى ذلك : ما قدَّمنا ذكرُه .

ثم لا يلزمُ من تأخُّر ظهورها عليه، أن لايكون متَّصفا بها، وبما هو أعظم منها، ولا يلزم من أنَّ من أوتى المملكة فى الصغر يكونُ أعظم وأفضل ممن أوتى فى الكبر، بل قد يكون الثانى أعظم وأفضل وأقدر من الأول . وما المانع من ذلك؟ فكذلك الحال فى معنى النبوَّة والعلم والحكمة والعقل والمعرفة . فتقدم العطاء وتأخره لايدل على الأفضلية، فلله الحكم فى ذلك « ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن » ـ ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ (سورة الأنبياء : ٢٣) .

ثم قال له : وأمّا قولك : بأنكم نقلتم عن نبيكم الأحاديث الموهمة للتشبيه والتجسيم، وهى كيت وكيت.

فاعلم أولا : أن الحاكم مثلا إذا ثبت عنده عدالة رجل؛ فإنه كلما شهد عنده بشئ؛ وجب عليه قبوله، إلا أن يشهد بمايخالف المعقول، ويقدح فى الأُصول؛ فإنه ما يقبله بل يسقطه عن الشهادة وإذاقبله فى تلك الشهادات التى كان يشهدها عنده فإنه ما يبنى عليها قطعا وبتا فى نفس الأمر؛ لاحتمال أن يكون كاذبا فى تلك الشهادة من حيث الباطن. وإنما له حكم الظاهر. والله يتولى السرائر.

وكذلك أئمة العلم. من ثبت عندهم تزكيته؛ قبلوا روايته عن النبى ـ عليه السلام ـ إذا لم يخالف المعقول، ويقدح فى الأُصول، فأخبار الصفات التى رووها إنما أثبتها الأئمة فى كتبهم، لما ثبت عندهم من عدالتهم، لا أنهم حكموا وقطعوا بصحتها فى نفس الأمر فإنهم قالوا : روى عن النبى عليه السلام : كيت وكيت، لا أنهم قالوا : قطعنا بأن النبىَ عليه السلامُ قال ذلك.

وعلى تقدير أن يقول ذلك، فإنهم ما قالوا : إنه اعتقد ذلك؛ لاحتمال أن يكون النبى ـ عليه السلام ـ حكى ذلك حكاية عن غيره، لا أنه اعتقده اعتقادا.

ومع أنَّ كل حديث يخالف المعقول، ويقدح فى الأصول؛ زيفوه وأسقطوا رواته، وكلَّ حديث احتمل تأويلا حسنا ومحملا واضحا؛ أثبتوه على حاله؛ فإن ذلك لايؤدّى إلى قدح ـ كما زعمت ـ لا فى الرواة ولا فى الأئمة، ولافى النبوة، ولا فى الأمة، بل يدل على عظم معرفتهم، وكمال علمهم وعقلهم. فإنه أدخل أئمة الضلال كل حديث مضل، ومع ذلك لم يقبلوا منها حديثا واحدا. بل مهدوا معيارا ومحكا واضحا، ثم عرضوا عليه، فما كان حقا حقَّقوه، وما كان زيفا

أسقطوه، وكلُّ حديث احتمل تأويلا حسنا ومحملا صالحا؛ أثبتوه وتكلموا عليه شرحا وبحثا وتحقيقا وتحريرا.

وأما قولك: بأنه لايبعد ظهور الحق ـ تعالى ـ لعباده فى صورة حسنة، مقرونة بالصلاح والصفات الكاملة والأخلاق المرضية.

فلو قلنا: لايبعد ظهور الحق لنا فى هذه الصورة. فلعل شخصا يدعى الإلهية (ويظهر الصلاح) وتكون تلك الصلاحية تلبيسا علينا. إذ من الجائزأن يكون إبليس قد ظهر فى تلك الصورة، أو رسول لإبليس، أو أحد نُوَّابه. وذلك يجرّ إلى عبادة مَنْ دون الله تعالى. وذلك عين الكفر. ونحن لا ينبغى لنا أن نجوِّز ظهور صورة مخلوق؛ لئلا يؤدى إلى السفسطة والتلبيس؛ فكيف ينبغى لنا أن نجوز ظهور الحق ـ تعالى ـ فى صورة خلقه؟ ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وأما قولك: بأن طائفةً منكم مجسمة مشبهة حشوية؛ سكنوا الزوايا.

وادعوا المشيخة من غير علم، وطائفة أخرى يقولون بالحلول والاتحاد.

فمسلَّم؛ لكن ليسوا هم منا حقيقة، بل تدعى أنت أنهم منا، ونحن ندعى أنهم خارجون عنا؛ فلا يكون ذلك قدحا فينا ولاطعنا علينا، كيف ونبينا ـ عليه السلام ـ يقول: من خاننا فليس منا» وأىُّ خيانة أعظم ممن لبَّس على المسلمين، وأكل الدنيا بالدين، وأظهر للناس أنه على طريقة الصدِّيقين. وهو فى الباطن حريص على صحبة الملوك والسلاطين؟

ثم قال له: وأما قولك بأن تسمية عيسى «ابن الله» كتسميتنا إبراهيم «خليل الله» ومحمدا «حبيب الله» وتشنيعنا عليكم وعلى اليهود بذلك.

فالجواب عنه: أن الله تعالى أخبرنا عن اليهود بأنهم قالوا: ﴿ **عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ وأخبرنا عن النصارى بأنهم قالوا: ﴿ **الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ ونحن ما زدنا ولا أنقصنا،

وما قلنا : كل اليهود قالوا ذلك، أو فى كل الأوقات، ولا كل النصارى قالوا ذلك، أو فى كل الأوقات، بل قلْنا كما قال الله تعالى : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ* وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ ولم نتعرض إلى شئ آخر، لا إلى الكل ولا إلى البعض، فأخبرْنا كما أخبر ـ تعالى ـ عنهم . ونعلم بأن الله تعالى إذاأخبر أن اليهود والنصارى قالوا ذلك؛ لايلزم أن يكون ذلك إخبارا عن الكل ولافى كل وقت .

وأما حديث النبوة والخلة والمحبة:

فالفرق ظاهر؛ لأن الله ـ تعالى ـ نزه نفسه عن الوالدية والولدية بقوله : ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** ﴾ ولم ينزه نفسه عن الخلة والمحبة؛ فإن سائر أنبيائه وأوليائه أخلاؤه وأحباؤه . بمعنى التشريف والتعظيم . ولايجوز أن يقال : إنهم أبناؤه وأولاده . على معنى ذلك؛ لا لتباسه بالباطل، فإن نسبته إلى الوالدية لا تحتمل إلاالحقيقة . فإنه لا يقال : فلان ولد فلان ابنه، إلابمعنى أنه ولده حقيقة، وإنه يحل له لذلك، بخلاف مقام الخلّة والمحبة؛ فإنه يلزم من انفصال الولد عن دار الوالد بعد اتصاله به مع بقائه على الولدية، ولايلزم من انفصال الخليل والحبيب عن الخليل والحبيب بعد اتصاله به مع بقائه على الخلة والمحبة، ولأن الولدية مشعرة بالجنسية، ولا كذلك الخلة والمحبة . فهذا هو الفرق بين جواز تسمية المقرب بخليل الله وحبيب الله، وعدم جواز تسميته بابن الله وولد الله .

ثم قال له : وأما قولك : صُلب جسد عيسى دون معناه .

فهذا هذيان أيضا؛ لأنه تحصيل للحاصل، وتحصيل الحاصل محال، فكان هذيانا؛ فإنه أبدا لايُصلب إلا الجسد . سواءٌ كان كافرا أو مؤمنا، مُطيعا أو عاصيا أو شيطانا . وأما الروح فحية باقية يذهب بها عالِمها . إما إلى عليين، أو إلى سجين، فأى مزية تبقى لعيسى على غيره فيما ذكرتَ وهوّلت؟

فإن قلت : الفرق ظاهر؛ فإن عيسى لما صلب، بقى زمانا يتكلم كما كان قبل الصلب.

قلنا : تلك معجزةٌ كباقى المعجزات، فأى مزية له على غيره من الأنبياء المؤيدين بالمعجزات من جنس تلك المعجزة وغيرها؟ فإنه على تقدير أن يكون ما ذكرت صحيحا، كان ذلك معجزة. وأما نحن فنقطع بكذب ذلك؛ فإن الله ـ تعالى ـ أخبرنا فى كتابه بقوله : ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ (النساء : ١٥٧) أنه التبس ذلك عليهم، حتى ظنوه عيسى، ولم يكن عيسى، ولم يكن عيسى، بل كان إما شيطانا أو إنسانا، أُلقى عليه شبه ما؛ إضلالا لهم.

وأما قضية الدليل والمدلول :

فـ « مسيلمة » لم تقم الدلالة على نبوته، وقامت الأدلة على كفره وكذبه؛ فالأدلة هنا حاصلة غير مفقودة، بخلاف ما نحن فيه؛ فإنَّ هناك لم يقم الدليل على أنا لسنا كذلك من مشاركتنا لعيسى فى حلول الرّب ــ تعالى ــ فينا ولم يقم الدليل أيضا على عكسه. فيبقى الأمر مشتركا بيننا وبين عيسى ـ عليه السلام ـ على رغمكم.

وأما قضية ترجيح معجزات عيسى من كونها أفعالا ربانية وآيات إلهية :

فهو كذلك؛ لكن ظهور مثل ذلك على يد العبد فى معرض التشريف والتقريب هداية لقوم وإضلالا لآخرين؛ لا يلزم أن يكون الذى ظهر على يديه إلها، لما ذكرنا : من جره إلى التلبيس، والوقوع فى الكفر.

فانقطع النصرانى، وقال : غلبتنى وأفحمتنى.

فقال له : إذا اعترفت بذلك؛ تعين عليك الرجوع إلى دينى. دين الإسلام، والاعتراف بأنه خير الأديان.

فقال : لا أفعل ذلك : لأنى أعتقد أن فى علماء دينى من يزيد عليك فى العلم والحكمة والعقل والمعرفة، وإذا ناظرته لم يغلب معك، بل ربما غلبك وأفحمك .

فقال له الإمام فخر الدين ـ رحمه الله ورضى عنه ـ : وهذا الاعتقاد هو الذى يمنع أرباب سائر الأديان عن أن ينقادوا إلى الحق، وأن يعترفوا بالصواب، فإنه ما منهم أحد إلا ويعتقد أن فى علماء دينه من هو كذلك؛ فينصد عن الحق بسبب ذلك الاعتقاد الفاسد، وذلك محال، فإن من المحال : التسلسل إلى غير النهاية، ومعتقدكم هذا يؤدى إلى التسلسل، وهو أن يعتقد الإنسان أنه ما من شبهة إلا ولها جواب، وما من جواب، إلا وعليه شبهة، وذلك محال؛ لتسلسله إلى غير حدٍّ ومقطع، ينتهى إليه، ومن ادعى غير ذلك، فقد خرج عن العقل بالكلية، فإنه إذا ثبت حده ومقطعه، وانتهى البحث إلى الحد والمقطع، فإنه لا يبقى وراء ذلك إلا العناد ومحض المكابرة .

ثم قال له الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ : أسألك عن ما تعتقده من دينك، بعد أن لم تقبل دينى . أخبرنى عن قاعدة أساس دينك، ومعتمد علمك وإيمانك ويقينك، بعد الذى تقدم ذكره .

فقال النصرانى : قاعدة ديننا : مبنية على تكذيب محمد، والعمل على عداوته، حتى أنه لو وجد فى عصرنا هذا لقتلناه أنجس قتلة، ولو أظفرنا الله بملوك أمته وعلمائهم وأئمتهم، لتقربنا إلى الله ـ تعالى ـ بذبحهم وسلخ جلودهم، وجلود عبادهم وزهادهم وسائر صلحائهم .

ولو وقع بأيدينا كل كتاب لهم من الكتب التى يسمونها بالعلم والحكمة والمعرفة، وكتب التفسير والحديث، وصحف القرآن؛ لمزقنا الجميع، وألقيناها فى سنادس البول والغائط .

ونحن إذا لم نعتقد أن فعل ذلك من أعظم العبادات وأفضل القربات؛ لم يصح لنا دين النصرانية ولا نتحقق بشئ منه، وكل ذلك لتغالينا فى ديننا، ولاعتقادنا صحته، وسقم غيره؛ ولهذا نعمل صورة محمد على هيئة بدوى راعى، ونعلم الأطفال من صغرهم عداوته والفرار منه، ونأمرهم بسبِّه وشتمه والتبصق فى وجهه.

وليس لنا شغل عقيب كل قربى نتقرب بها إلا الدعاء على المسلمين بالخذلان، وتسليط العذاب العاجل والآجل عليهم، وسلب المملكة والسلطة منهم، وسلب القهر والقدرة والحكم والخلافة، وسلب العز والجاه والأمر والعظمة. وإذا غُصبنا على الإسلام، لا يجوز لنا ذلك إلا بشرط أن نسعى فى الباطن إلى هلاك المسلمين وسب دينهم ونبيهم.

فقال له الإمام: فعلى الذى يودُّكم وبال ما تفعلونه، وعلى الذى يؤاكلكم ويعاشركم بالصحبة والمودة مثل ذلك، بل وعلى الذى يلبسكم ثوب العزِّ أعظم من ذلك؛ لأنه كمن أعان على قتل محمد ﷺ وتمزيق كتابه، وإهلاك أمته، وقد قال الله تعالى فى حقه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** ﴾ (المائدة: ٥١) وقال تعالى: ﴿ **لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ** ﴾ (الممتحنة: ١) فكل من ألبسهم ثوب العز، أو وادهم وأحبهم، أو قربهم وأدناهم، أو استعان بهم فى أموره، أو استغاث بهم فى مهماته؛ فلاجرم يصير الله ورسوله عدوا له. بأن يخذله ولو عند موته وفى قبره.

وفى الآخرة يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وفصيلته التى تؤْويه.

ثم قال الإمام : لولا الذمة ووصية النبى ـ عليه السلام ـ إيانا بحفظ الذمة بيننا وبينكم : لتقربت إلى الله ـ تعالى ـ فى هذه الساعة بقتلك شر قتله .

رد القسيس على الشيخ

فقال النصرانى : بقيت أسئلة أوردها عليك عن صاحبى هذا؛ فإنه يهابك من إعظام؛ فإن أجبتنى عنها علمت أنك على الحق . فقال له : قل ما بدا لك .

فقال له : قد ثبت : أن عيسى فى السماء . وهو حى، وثبت : أن محمدا فى الأرض، بل ومدفون فى بطنها، وميت فى جملة الموتى . وثبت أنه يلقب بروح الله وكلمته، ولا كذلك محمد، وثبت أن عيسى خُلق من غير نطفة، بل بمحض القدرة من غير شئ من هذه الأجسام الدنيئة . وظهر فى بطن امرأة صدِّيقة عظيمة القدر، ولا كذلك محمد، فإنه خلق من نطفة كافر، وخرج من بطن كافرة .

وثبت : أن عيسى ما اشتغل بشئ من حظوظ النفس، كما اشتغل به محمد . من الاشتغال بشهوة الجماع، والتكثر من النساء، ومن الجماع، وغير ذلك من الشهوات، ولا كذلك عيسى؛ فإنه ما التذَّ بشئ سوى العلم والحكمة والمعرفة والمحبة والشوق الهائم، والذكر الدائم والتفكر اللازم تعظيما لأمر الله، واستغراقا فى معرفته ـ جل جلاله ـ وفناء فى محبته ـ سبحانه ـ فصرف جميع الأوقات إلى ذلك فقط، لا إلى أكل وشرب، ولا إلى جماع وشهوة نفس .

ولأن عيسى رفع إلى السماء قبل أن وجد محمد بستمائة سنة . فهو . من ذلك الوقت إلى الآن، وإلى أن تقوم الساعة فى حضرة القدس، ومقام الأُنس، مع كونه متجردا عن حظوظ النفس، وجيلان الطبع، وتدبير البدن، وعلائق الجسد، وعوائق الدنيا والخلْق والشيطان والنَّفْس، منزه عن جميع ذلك، مقدس عنه، ولا كذلك محمد؛ فإنه عاش نحو ستين سنة . منها أربعون سنة كان فيها من جملة

عوام الناس، وعشرون مميز عنهم فيها . وأين تلك العشرون سنة المشوبة بأشغال الدنيا والنفس وتحصيل المنصب بالسيف وغيره؛ بالنسبة إلى مدة عمر عيسى؟ من حين ولد إلى أن رفع وإلى اليوم، وإلى قيام الساعة .

ألفٌ ومائتا سنة . ما شاب زمانه ذلك بشائبة من هذه الشوائب، إلا التألُّه التام، والتجرد الكامل فى الله وبالله .

ثم إنه قد ثبت أن محمدا كان يدعو إلى الهداية بالسيف والعسف، وكل من دخل فى طاعته آمنه على نفسه وأهله وماله، ومن أعرض عنه قتله وأخذ أهله وماله . والدعوة إلى الهداية لا تكون بهذه المثابة، فإن ذلك حال ملوك الدنيا وجبابرتها لا حال ملوك الآخرة الذين هم الأنبياء والأولياء، والذين هم العلماء والحكماء الداعون إلى الله تعالى بالمعجزات القاهرة، والبراهين الباهرة من أدلة العلم والحكمة والحجج العقلية القاطعة، كما كان يدعو عيسى ومن قبله من الأنبياء والأصفياء من عهد آدم إلى ظهور عيسى .

ثم إنه قد ثبت : أنكم رويتم عن محمد أحاديث كثيرة موهمة للتشبيه، فكيف يليق صدور مثلها من النبوة وما بعث الأنبياء إلا لرفع التشبيه، وإثبات التقديس والتنزيه؟ وما كفى أنه قال ذلك [حتى أضاف إليه سكوته عن بيان المراد منه] فإنه لم يشر إلى رفع إيهام التشبيه، وإثبات التقديس والتنزيه بقرينة يذكرها عقيب قوله ذلك . ثم ما كفى سكوته على ذلك، حتى أن الصحابة أيضا ما كان فيهم أحد عنده نظر ولا فهم وبصيرة فيسأله عن تفسير حديث من تلك الأحاديث؛ ليقع البحث فى شرح ذلك؛ فتحصل الفائدة لهم ولمن بعدهم .

وعلى تقدير أن تحتجوا بأن الرواة أخطأوا فى النقل عن محمد، وتعمدوا كذبا وافتراء . أليس القرآن مقطوعا به عندكم؟ فكم فيه من الآيات الموهمة للتشبيه؟ كقوله تعالى : ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ (طه : ٥) وكررتم ذلك

فى كتابكم فى مواضع شتى، وكذلك قوله: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (الفجر: ٢٢) وكذلك قوله: ﴿ وَالسَّمـوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ (الزمر: ٦٧) وكذلك: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ (ص: ٧٥) وكذلك قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ (البقرة: ٢١٠) ؟ وكذلك ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ (الأنعام: ١٥٨)؟ وكذلك قوله: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ (القصص: ٨٨) .

وهذا يقتضى ـ على زعمكم ـ أن كل شيئ يهلك، وكذلك هو تعالى يهلك ﴿ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ فقط. وهذا عين الكذب والافتراء على الله ـ تعالى ـ فإن العرش والكرسى لا يهلكان وكذلك اللوح والقلم، وكذلك الجنة، وكذلك فعل الخير، وكذلك ذات البارى ـ تعالى ـ وصفاته؛ فكيف تقولون: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ ما استثنيتم منه إلا الوجه فقط؟

وكذلك ذكركم الحروف المقطعة فى أوائل السور. قوله: (ألم) ـ (ألمص) ـ (ألر) ـ (ألمر) ـ (كهيعص) ـ (طه) ـ (طسم) ـ (طس) ـ (يس) ـ (حم) ـ (حمعسق) ـ (ص والقرآن) ـ (والقلم) ـ (ق والقرآن) .

كل هذه حروف على حدتها، والحرف على حدته ماذا فيه من المعنى حتى يذكر؟ وقد ثبت: أن الكتب المنزلة ما نزلت إلا ليفهم معناها، وأى معنى يفهم من ذكر الحرف الواحد إلا إذا كان الواضع قد وضع لكل معنى حرفا بذاته؟ متى ذكر ذلك الحرف فهم ذلك المعنى؟ وأين الوضع هنا؟ هل سمع فى اللغة بأن كل حرف من هذه الحروف كان فى قديم الزمان موضوعا لمعنى، كما وضع اسم الصلاة لهذه الأفعال المخصوصة، ووضع اسم الزكاة والصوم والحج لهذه الأمور المعلومة؟ ليس الأمر كذلك.

ثم ما كان فى الصحابة من أحد سأله عن معنى حرف من هذه الحروف، فإنه بعث إليهم، ولا يخاطبهم بشئ إلا ليفهموه، وما لا يفهمونه يسألوا عنه. فكيف كان فيهم هذاالجمود العظيم والطبع الغليظ إلى هذا الحد؟ حتى إنهم لم يكن فيهم ولاشخص واحد، عنده فهم ويقظة يسأله عن معنى حرف من هذه الحروف، أو عن شئ من آيات الصفات وأخبار الصفات الموهمة للتشبيه، فى أنه ما معنى ذلك؟ وما تفسيره؟ فكيف وقع الجمع العظيم بعدهم فى مثل ذلك وأمثاله. وامتلأت الكتب من شرح ذلك وتفسيره وتأويله وحقائقه وأسراره، ولم يقع شيئ من ذلك فى عصرهم؟ فهل هو منعهم عن ذلك؟ وإذا كانوا هم بليدى الخاطر بالمرة، حتىٰ أنهم إذالم يفهموا لم يسألوا أيضا. وظنوا: أن الجهل بالله خير من العلم به، وكذلك الجهل بأسرار كتابه خير من العلم بها ــ وهذا من أعظم الجهل [فاعظم الجهل] الجهل بالجهل ــ إذا كانوا هم هكذا ــ وإذا ظنوا ذلك؛ كانوا جهالا وكانوا جاهلين بجهلهم ــ فكيف صلحوا لصحبة النبوة وأمانة الرسالة؟

ثم إن محمدا قد علم أنكم تفترقون بعده ثلاثا وسبعين فرقة، بسبب الأحاديث التى قالها، والآيات المتشابهة التى نقلها، فلم لم يرفع تلك الإيهامات التى أوقعت الأمة فى الغلو حتى افترقوا وابتدعوا وشبهوا وغيروا وعطلوا وألحدوا وتزندقوا، وقد ثبت عندكم: أنه ما أُرسل إلا رحمة للعالمين، وأنه هدى ونور.

ومن يكون بهذه المثابة، كيف يُلقى بين أمته كلاما يقعون بسببه فى ظلمة البدع، وفى تيه التشبيه والرفض، مع قدرته على أن يدعهم على بيضاء نقية لا يبقى بينهم خلاف ولا نزاع، ولايكفر بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا. كما هو حالكم فيما بينكم. فما منكم طائفة إلا وتكفر الأخرى أو تبدّعها، أو تلعنها.

ثم إن خير فرقكم الفرقة الواحدة التى تزعمون أنها أهل السنة والجماعة،

وهى قد افترقت أيضا إلى فرق شتى، وكل فرقة منها تطعن فى الأخرى بل وتكفرها . فالأشعرى يكفر الحنبلى، وينسبه إلى الحشو والتشبيه، وكذلك الحنبلى فى حق الأشعرى . **هذا فى الاعتقاد** .

وأما فى المذهب : فالحنفى يطعن على إمامكم الشافعى، وينسبه إلى الغلط والخطأ العظيم فى أمور شتى من جملتها : أن يتزوج الرجل بابنته من الزنا . وكذلك الشافعية تطعن فى الحنفية وتنسبهم إلى الخطأ فى أمور شتى . من جملتها إباحة النبيذ والوضوء به، وجواز صلاة الرجل وعلى دبره من الغائط قدر الكف . وكذلك طعنكم على إمامكم « مالك » فى أمور شتى، ومن جملتها : إباحة أكل لحم الكلب، وكذلك طعنكم على إمامكم « أحمد » .

وإذا كان الحال فيما بينكم كذلك، وأنتم ـ على زعمكم ـ الفرقة الناجية . فكيف حال الغير؟

ثم إن منكم طائفة اعتزلت أهل العلم والحكمة والفهم والمعرفة، وادعت أنها على الحق، وأنها هى الواصلة إلى الله ـ تعالى ـ وتنظر إلى العلماء بعين المقت والاحتقار، وبعين الازدراء والإهانة، وليس لهم علم وعمل إلا الغناء والرقص والدف والشبَّابة، مع الشحاتة من كل بر وفاجر، وأكل ما حضر، كأنهم ابتدعوا لأنفسهم شريعة بذاتها، ما بُعث بها نبى، ولا أنزل بها كتاب، فأى نبى بعث بغناء ورقص، أو أرسل بدف وشبابة؟ وأى كتاب نزل من السماء بذلك؟

وليس لهم فى ذلك مستند سوى ميل العوام إليهم، وتعصبهم لهم. ثم إن هؤلاء مع ما هم فيه من الجهل العظيم، ينسبون أئمتهم إلى النقص والتقصير.

وهذا منهم يقتضى بأن الشريعة التى نقلتموها عن محمد غير الشريعة التى هم عليها . وأما أنتم فنسبتموهم إلى الجهل والزندقة، فكل منكم يقدح فى الآخر . وهذا حال خياركم؛ فكيف حال الأشرار؟

وبعـــد:

فإنه ما من ملة إلا وتقطع بأنها هى المحقة وغيرها المبطلة، فبأى شئ يتميز ذلك إذا كان الجميع مشتركين فى الاستدلال بالأدلة القطعية؟ وعلى تقدير أن يعلم ذلك بالمعجزة، فإذا ثبت أن السحر مشارك للمعجزة فى التخييل، فكيف يتميز المعجز من السحر؟

رد الشيخ على القسيس

قال الإمام فخر الدين رحمه الله تعالى:

أما حديث رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وبقائه حيا إلى اليوم، وخلقه من غير نطفة، وتجرده عن علائق النفس، وانشغاله بحضرة القدس، وكونه روحا وكلمة. فكل ذلك يدل على الأفضلية لاعلى الإلهية، وكوْن محمد ﷺ ليس كذلك، ليس دليلا على عدم النبوة، بل على المفضولية. وأنت يا نصرانى ما ذكرت ذلك فى حق عيسى فى معرض التفضيل بين عيسى ومحمد، بل فى معرض إثبات الإلهية لعيسى، أو كونه ابن الإله، أو غير ذلك من صفات الإلهية وفى معرض الدليل على عدم نبوة محمد ﷺ، ولما كان الدليل غير مطابق للمدلول؛ **فالسؤال لم يستحق الجواب، على أنا نجيبك تبرعا لاوجوبا فنقول:**

أما قولك: إن عيسى عليه السلام رُفع إلى السماء، وهو حيٌّ إلى الآن، وإلى قيام الساعة، وكون محمد مدفونا ميتا فى بطن الأرض:

فذلك ـ وإن كان دليلا على أفضلية عيسى من وجه واحد ـ هو دليل على أفضلية نبينا محمد ﷺ من وجوه متعددة، وذلك أن أفضليته إنما تعتبر بالنفع المتعدى لابالنفع القاصر، وعيسى ـ عليه السلام ـ وإن كان فى ذلك المحل الرفيع، إلا أن نفعه قاصر على نفسه، ثم ما كفى ذلك. حتى صارت حالته تلك سبب

الكفر النصارى حتى اتخذوه إلها، وأما حال نبينا ـ عليه السلام ـ فإن موته ودفنه فى الأرض. ربما كفى بأن يكون رحمة للعالمين؛ لئلا يسلط على من أعرض عنه عذاب الاستئصال، كما سلط على الأمم الذين أعرضوا قبلنا، حتى إن زيارة قبره كل عام صارت دعوة منه إلى من نظر إلى قبره، وتبركا لمن تبرك بحرمه وحضرته. ولاجرم أن ظهر ببركة ضريحه كل إمام فى العلم وقدوة فى العمل، وكل منهم يصلح أن ينوب عن كل نبى مرسل وملك مقرب بالمجاهدة والعبادة فى إصلاح الأمة بأنواع الهداية، وأين ثمرة رفع عيسى إلى السماء فى حق أمته إلى ثمرة دفن النبى فى الأرض فى حق أمته؟

أنظر ما بين تلك التى كانت سببا لكفر النصارى وبين هذه الثمرة التى كانت سببًا لكمال هداية المسلمين المؤمنين الموحدين، وسببا لعلم العلماء الراسخين، وسببا لكمال صفات الصديقين المكاشفين المخاطبين المؤيدين بروح القدس.

ثم إن كان جسم محمد مدفونا فى الأرض؛ فروحه فى أعلى عليين، والاعتبار بالروح الذى هو الساكن، لا الجسد الذى هو المسكن.

ثم إن عيسى وإن كان بعروجه إلى السماء قد تجرد عن علائق الدنيا، وحظوظ النفس؛ إلا أنه لم يتجرد أيضا عن الجسد، فجسده معه فى السماء، وأما نبينا ﷺ فإنه بعروجه إلى العالم الأعلى قد تجرد عن جميع الأشياء، وعن جسده أيضا. فأين تجرد عيسى من تجرد النبى ﷺ؟ وأين سكنى سماء الدنيا من سكنى الفردوس الأعلى والحضرة الأسمى؟

وأما كون عيسى عليه السلام روح الله وكلمته:

فهو متروك الظاهر عقلا؛ لأن من المحال أن يكون الجسد روحا وكلمة، ولا

شك أن عيسى . كان جسدا . ومن المحال أن يكون الله ـ تعالى ـ مركبا من روح؛ فتصير عيسى . والأجزاء الأخرى تصير منها أشياء أخرى، فيذهب الرب ويبقى المربوب ربّا، ذلك محال؛ فكان القول بظاهر ذلك محالا . وإذاثبت أنه متروك الظاهر؛ حمل على التأويل .

وتأويل كون عيسى عليه السلام روح الله : أنه إضافة تشريف؛ كما يقال : بيت الله، وناقة الله . فكونه روح الله : هو روح شرفه الله ـ تعالى ـ أى روح أهل الله، وروح صفوة الله . وكذلك قوله : (**وكلمته**) هو لاشتماله على معرفة الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل؛ كان كلمة الله لذلك، وكل الأنبياء يشاركونه فى ذلك، فى كونه روح الله، وفى كونه كلمة الله؛ لاشتمال جميعهم على المعنى الذى اشتمل عليه عيسى، أو بعضه، أو أكثر منه . وأما كونه خلق من غير نطفة؛ فليس الاعتبار بالأجساد، بل بالمعانى؛ فأصل الكل آدم، وآدم خلق من تراب، فالجسد لاحق المعنى؛ وقد يكون اللحق كثيفا والجوهر الذى فيه لطيفا شريفا، وقد يكون اللحق شريفا؛ يكون فيه حجر ومدر . فالاعتبار إذاً بالروح والمعنى، لابالجسد والصورة .

فما علينا حينئذ أن يكون جسده خلق من نطفة أو غير ذلك .

وأما أن عيسى لم يشتغل بشئ من لذات البطن والفرج، ولا كذلك محمد ﷺ :

فالجواب : أن من اشتغل بالأزواج على قصد أن تنفى عنه تهمة الربوبية ـ وهى لم تنتف عن عيسى بسبب تركه ذلك ـ هو أعظم وأفضل ممن ترك الزواج . فصار حفرة وقع فيها سائر النصارى باتخاذه ربا وإلها وابن الإله .

وأما الجواب عن كون محمد ﷺ دعا الناس إلى الهدى بالسيف والقهر:

فإنما كان ذلك عندما كانوا يجحدون المعجزات والأدلة الظاهرة الباهرة، ولا خلاف أن من عاند البرهان لم تبق له إلا المقاتلة بالسيف والسّنان .

وأما الجواب عن الأحاديث والآيات الموهمة للتشبيه :

فاعلم : أنه إذاثبت عند كل عاقل مثلا : أن الجدار جماد لا حيٌّ . ثم يُوصف بعد ذلك بالإرادة . في قوله تعالى :﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ (الكهف : ٧٧) علم قطعا بضرورة العقل : أن وصفه بالإرادة إنما هو على سبيل المجاز ، لا على سبيلالحقيقة . وكذلك إذا علم : أن القرية جدران لا روح لها وأن الله تعالى قال فيها : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ (الكهف : ٨٢) علم قطعا : أن سؤال القريه مجاز لا حقيقة ، وإنما المراد : واسأل أهل القرية ، وكذلك إذاعلم أن البارى ـ تعالى ـ منزَّه عن الجسمية والعرضية والحدّ والجهة والأعضاء والجوارح والحركة والسكون ، ومنزَّه عن الميل والحظ والنفور والرقة ، ثم إنه وصف بعد ذلك بالمحبة والرضا والسخط والرحمة ، أو بالحركة والجارحة ؛ علم قطعا : أن إطلاق ذلك عليه مجاز لا حقيقة وأنه من باب التنبيه بالمثمر على الثمرة .

وأما كونه ـ عليه السلام ـ لم يشرح شيئا من ذلك ، ولا سأله عنه أحد من الصحابة :

فلأنه لما قال لهم مثلا : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ فلو قال لهم : اعلموا : أن الجدار جماد لا إرادة له ؛ لكان ذلك قبيحا ؛ لأنه معلوم بضرورة العقل . وكذلك لو سألوه أنه هل للجدار إرادة أم لا ؟ لكان أيضا قبيحا . فكذلك إذاثبت أن إله العالم منزه عن الجوهرية والعرضية ، ثم قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ ﴾ (الزمر : ٦٧) علم قطعا : أن المراد به : القوة والقدرة لا العضو ولا الجارحة فإن القدرة والقوة ليست لليمين الذى هو الصورة والجسد ، بل للمعنى الذى هو القوة والقدرة ، فهل كان يليق به ﷺ أن يقول لهم : اعلموا : أن معنى يمينه إنما هو القدرة لا العضو والجارحة الذى هو الشكل والصورة . وقد علم ﷺ أنه يعلمون ذلك ويتحققونه ؟

وكذلك ما كان يليق بهم أن يقولوا له: ما معنى اليمين هنا؟ لأنه يصير كأنهم عدلوا من المفهوم والمعلوم عندهم فهمه وعلمه، إلى السؤال عن الكيفية، والكيفية فى ذات الإله محال. فكان السؤال عما لا ينبغى السؤال عنه بعد فهم ما ينبغى فهمه محالا. وكذلك وصفه - تعالى - بالرحمة والرأفة والحنو والشفقة، كل ذلك يدل حقيقة عن الرقة الجنسية، وهى على الله - تعالى - محال، وإنما المقصود: التنبيه على ثمرة الرحمة، وثمرة الرأفة والشفقة، فعبر عن الثمرة بالمثمر، تنبيها على الثمرة.

ثم إن النبى - عليه السلام - إنما لزمه أن يبين للناس ما اختلفوا فيه؛ وبّين لهم؛ لكن لم يلزمه أن يعصم الرواة عن الخطأ والنسيان، ولا لزمه أن يريد فى عمره إلى قيام الساعة حتى أنه كلما اختلفوا بعده فى شئ؛ قال لهم: ليس الأمر كذلك، ولا لزمه أن يذكر كل ما ذكره العلماء من أمته بعده إلى قيام الساعة: من تفسير كتاب الله تعالى، وشرح حديثه عليه السلام.

فإنه لو لزمه ذلك لفعله، ولما كان للعلماء بعده مزية فى العلم على العامة، ولا ثواب فى القيام به، ولكان كلام الله أحق بأن يشرح جميع ذلك، وما كان يبقى لأحد حاجة بالرسل، وكان الله قادرا على أن يهدى الجميع من غير إنزال أيضا، بل وكان قادرا على أن يخلقهم فى الجنة من غير كلفة ومشقة، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت خلق الأسباب والمسببات، والنبى ﷺ بلّغ وأوضح، وشرح وأفصح. وما أبقى.

وإنما الخلاف نشأ بسبب الخلل الواقع فى الرواة عنه من بعده، فوقع الاختلاف، وكثر الخبط، وظهرت البدع بسبب ذلك.

ثم الذى أوردتَه علينا هو بعينه وارد عليكم. فإنه وإن وقعت البدع بيننا

بسبب نقل الرواة؛ فقد شملكم أنتم الكفر المحض جميعا بسبب تجرد عيسى كل ذلك التجرد، وبسبب عروجه إلى السماء وإقامته هناك، وبسبب ما ظهر على يديه من المعجزات التى تشبه فعل الخالق ـ تعالى ـ من إحياء الموتى، وخلق الطير من الطين فى الحال والساعة، وبسبب النقل الفاسد من أئمتكم فيما أنزل الله ـ تعالى ـ على رسوله.

وإذا كانت هذه الضلالات لا تُنسب إلى عيسى، فكيف ينسب إلى نبينا خطأ بسبب الرواة؟

وأما الجواب عن الحروف المقطعة:

فإنه يحتمل أن تكون الحكمة فى ذكرها: التهويل(١) على الخلق؛ ليبقى العقل والقلب دائما مشتغلا بالفكر فى ذلك والبحث عنه، ولئلا يذهب الوهم فى ذلك إلى تقدير أمر عظيم؛ إلا ويظن أن وراء ذلك ما هو أعظم منه؛ تارة فيما يتعلق بعظمته، وتارة فيما يتعلق بسعة ملكه وعظم عالمه، وتارة فيما يتعلق بوعده ووعيده، وتارة فيما يتعلق بجنته وناره.

وأما أن الصحابة لم يسألوا الرسول ـ عليه السلام ـ عن شرحها ومعناها:

فلأن مهابة الرسول وجلالته؛ هى إلى غير غاية ونهاية، وقد علموا أن الله ـ تعالى ـ فى كتابه سرا لا يطلع عليه إلا نبى مرسل أو ملَك مقرب؛ وله فى كل كتاب سر لا يطلع عليه إلا هو؛ لا نبى مرسل ولا ملك مقرب. فقالوا: يحتمل أن يكون الرمز والإشارة بهذه الحروف المقطعة إلى أنها تلك الأسرار أو بعضها؛ ولأنهم لم يروا النبى ﷺ يتكلم فى معناها، ولم يذكر شرحها، بل يذكرها فى معرض التلاوة فقط. غلب على ظنهم: أن الأمر هو ذلك، فلذلك سكتوا عنه.

وأما الجواب عن تكفير الأشعرية للحنابلة، والحنابلة للأشعرية:

فليس ذلك تكفيرا حقيقة بل تبديعا. فقصد «الأشعرى» تنزيه الرب ـ تعالى وتقديسه، والمبالغة فى إجلاله وتعظيمه، والفرار من التشبيه. وقصد «الحنبلى» الفرار من الوقوع فى البدع، وخوف الخروج عما كان عليه السلف الصالح.

وأما الجواب عن المطاعن فى أئمة المذاهب:

فإن الأئمة إنما أفتوا بأن مقتضى ظاهر الآية والخبر، فى تلك المسائل: ذلك. لا أنهم قطعوا بصحته فى نفس الأمر. ثم وما المانع أن يكون ذلك حقا فى نفس الأمر؟

وأما الطائفة التى اعتزلت عن العلماء، وادعت الفقر، واشتغلت بالغناء والرقص والدف والشبابة:

فالجواب: أن أولئك ليسوا ممن يعتمد عليهم فى الدين. لافى علم، ولافى بيان حكم، ولا فى أية نازلة، ولافى خبر مروى، ولا فى تهذيب خلق، ولا فى سلوك طريق، ولا فى أصل من أصول الدين، ولا فى فرع من فروع المسلمين. وإذا كان كذلك؛ فأى التفات، وأى اعتبار لهؤلاء. آمنوا أو كفروا، أطاعوا أو عصوا؟

وأما الجواب على أن محمدا ﷺ أقام فى نبوته عشرين سنة مشوبة بأمور الدنيا، ولعيسى ألف ومائتا سنة حيا فى صفاء الأُنس، وخلاصة حضرة القدس:

فساعة من ساعات محمد ﷺ التى كانت سببا لهداية أمته، خير وأفضل من ألف سنة ضل بها دين النصرانية.

وأما الجواب عن قولك: لم انحصرتم فى الاثنينية حتى لقبتم كتابكم فى الحديث بالصحيحين؟

فاعلم: أن قولنا: هذا كتاب صحيح، لم نرد به الانحصار فى الكتابين؛ فإن غيرهما من الكتب الصحيحة كثير، وإنما أطلق هذا الاسم على هذين الكتابين؛ فصار اسما علما عليهما، لا أنه ليسَ ثمة صحيح غيرهما.

وأما الجواب عن قولك : إنه ما من أمة من الأمم ، ولا ملة من الملل إلا وتدّعي أنها هي المحقة وغيرها هي المبطلة . بالأدلة القاطعة ، والحجج الباهرة ، وإذاكان كذلك فبأى شئ نتبين رجحانكم على الغير ؟

فاعلم : أن إحدى الحِكَم فى إرسال الرسل : هو أن يكون الرسول حكما بين خلق الله تعالى . إذاادّعوا جميعهم ذلك؛ تعرض أدلتهم على ذلك النبى الذى تميز عن جميعهم، ورجح على سائرهم بالعلم والعقل، وأى دليل يرجحه ذلك الشارع يكون هو الحق، وغيره هو الباطل . وإنما تعرف نبوة النبى بالحكم الذى جعله الله فينا . وهو العقل، فتعرض معجزاته على الحكم . فمتى كان الذى أتى به معجزا ولم يكن سحرا؛ علمنا : أنه نبى مرسل لاشيطان رجيم، ولا كاهن، ولا شاعر .

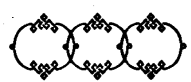
وأما الجواب عن قولك : إنه إذا كانت المعجزة تشارك السحر فى التخييل ، فبأى شئ يفرق بين المعجز والسحر ؟

فالجواب عنه : أن إبطال السِّحر مما لم يعجز عنه العلماء، وخواص الحكماء، ولا كذلك المعجز؛ فإنه يعجز عن إبطاله جميع الخلائق . فلما ظهر محمد ﷺ وظهر المعجز على يديه، ولم يكن فى زمانه وإلى هذا الوقت من أبطل عليه معجزة واحدة فضلا عن ألف ألف معجزة؛ علمنا : أن الذى ادَّعاه محمد ﷺ كان معجزا، ولم يكن سحرا؛ وكذلك غيره من الأنبياء .

هذا آخر الجواب . والله أعلم

وآمن على يديه ذلك النصرانى، وصار بسببه إماما فى العلم يُقتدى به . والحمد لله وحده، وصلواته على خير خلقه؛ محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما .

تمت مناظرة قسيس خوارزم



تعقيب:

كيف تجادل اليهودى. أو النصرانى؟

تمهيـد:

اعلم أن أىَّ دين من الأديان . سماويا كان أو وضعيا . ينقسم إلى قسمين اثنين:

القســـم الأول: كتاب الدين.

والقسم الثانى: الأعمال بما فى الكتاب.

فالتوراة كتاب يشتمل على عقائد وتشريعات . ومجموع العقائد والتشريعات يسمى كتاب الدِّين. والغرض من نزول الكتاب : هو العمل به . فالملتزم بصحة كل مافى الكتاب؛ عليه أن يصلى وأن يصوم وأن لا يسرق وأن لايزنى وأن لا يقتل . وإذاسرق يُعاقب بالعقاب المنصوص عليه فى الكتاب . وهكذا .

وفى اصطلاح علماء الكلام يسمى القسم الأول : الإيمان . ويسمى القسم الثانى : الأعمال . والذين يبغون تحريف الكتاب يهدفون من التحريف : موافقة أهواء الناس بألغاء الأعمال ، فالنص الذى يحرم العمل فى يوم السبت . إذا أراد المحرف إلغاءه؛ فإنه يهدف منه إلى حِلِّ العمل فى يوم السبت؛ لمنفعة الناس فى ذلك اليوم .

وإذا أباح الربا من الأممى؛ فإنه يوافق أهواء الطماعين والكذابين . وهكذا . واليهود قد حرفوا التوراة فى بابل؛ لئلا يعملوا بأحكامها . فإذا أظهر الله فى بنى إسرائيل نبيا من الأنبياء . فإن أول كلمة يقولها لهم : هى اتقوا الله، واعملوا بالتوراة، فلننظر الآن فى حال آخر نبى من أنبياء بنى إسرائيل، وهو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام . ولنسأل أنفسنا : هل قال : اتقوا الله واعملوا بالتوراة أم لا ؟

إن كان قد قال؛ فإنه يجب على النصارى أن يأخذوا دينه من علماء اليهود. ويجب عليهم أن يؤمنوا بكل مافى التوراة من عقائد وتشريعات. وإن كان لم يقل؛ فإنه لا يصح للمسلم أن يُلزمهم بالرجوع إلى التوراة.

فالغرض من هذا التمهيد: هو أنك إذا أردت أن تهدَّ عقيدة التثليث هدًا. عقيدة التجسُّد، أو عقيدة التعدُّد. تثليث المراحل، أو تثليث الذوات؛ فإنه يتوجَّب عليك أمران:

الأمر الأول: هو أن تبين للنصارى أن نبيهم عيسى عليه السلام أمرهم بتقوى الله والعمل بأحكام التوراة.

والأمر الثانى: هو أن تُظهر من التوراة النصوص الدالة على النبى المنتظر، وتفسرها؛ لتدل على محمد ﷺ. وتكثر الكلام فى بركة إسماعيل عليه السلام المذكورة فى الأَصحاح السابع عشر من سفر التكوين.

وإن أنت أحلتهم إلى دين اليهود، وألزمتهم بالسماع لكلام علماء اليهود؛ فإنهم يدخلون فى عِداد اليهود، ولاينفصلون عنهم، لأنهم انفصلوا عنهم فى حياة عيسى عليه السلام لاعترافهم بأن نبوءات التوراة عن النبى المنتظر تدل على محمد ﷺ ثم من زمان مجمع نيقية إلى هذا اليوم ساروا وراء أهل الروم، واتبعوا معتقداتهم. فلم يعد للانفصال من معنى. وإذا لم يعد للانفصال من معنى، فليعودوا إلى دين اليهود. لماذا يتركونه؟

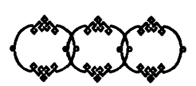
وإن عادوا إلى دين اليهود. فإن التثليث لن يكون له معنى، إذ التوراةُ وعلماء اليهود ينكرونه. وفى هذه الحالة تجادلهم هم واليهود كلهم فى نبوة محمد ﷺ بنصوص كتبهم التى تدل على مجئ النبى المنتظر. ولاتناقشهم فى صحة نبوة محمد ﷺ إلا إذا ألزمتهم بأنهم يهود. وبهذه الطريقة المنظمة يسهل إدخال

النصارى فى الإسلام. وقد جربتها معهم فأفادت؛ إذ كان بعضهم يصرعلى مناقشتى أمام جمع منهم. فأبدأ الكلام معهم فى التوراة. وأسألهم: هل المسيح نسخها؟ ،كنت أصرُّ على أن لا يتعدَّى النقاش هذه المسألة حتى تتضح. وليس عندهم من نصوص على أن المسيح نسخها. وفى هذه الحالة أُلزمهم بدين اليهود كله. وهو دين لا يُقرُّ التثليث.

وهذه هى طريقة اليهود مع النصارى. فإنهم إذاأرادوا إفحام النصارى، يطلبون منهم الرجوع إلى التوراة. فقد قال لهم «ابن كمونة» اليهودى فى تنقيح الأبحاث: إن المسيح كان على دين التوراة. وفى التوراة: أن الله لايُرى ولايقدر أحد على رؤيته. وأنتم قد رأيتم أيشوع المسيح. وإذْ قد رأيتموه؛ فإنه لايكون هو الله، فإن قبلتم التوراة خرجتم عن التثليث، وإن قبلتم التثليث خرجتم عن التوراة.

فعلى المسلمين أن يتبعوا هذه الطريقة فى هدِّ التثليث من الأساس.

وهذا هو التدليل على صحة الأمرين



إحالة النصارى إلى التوراة

الأمر الأول:

شريعة التوراة من أيام موسى عليه السلام إلى أيام محمد ﷺ كانت مع علماء بنى إسرائيل، يدرِّسونها للناس. وكانت تسوسهم الأنبياء منهم. وكل نبى يظهر فيهم؛ كان يُظهر التوقير والتعظيم للتوراة، ويعمل بها. وفى هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ﴾ (البقرة: ٨٧).

وفى الأناجيل الأربعة وغير الأربعة مايدل على ذلك. وفيها أيضا ما يدل على أن المسيح أمر أتباعه بأن يسمعوا كلام علماء اليهود وأن يعملوا به. ومعنى أنه يأمرهم بالسماع من كلام علماء اليهود: أنه لم ينشئ ديانة مستقلة عن اليهود، ولم ينفصل عنهم. إذ كيف يأمر النصارى بحضور مجالس العلم لعلماء اليهود فى معابدهم. وحضور ندواتهم العلمية، وسماع محاضراتهم، ثم ينشئ ديانة، كيف يحثهم على السماع من علماء اليهود، وفيهم من يؤمن به ومن لا يؤمن به. إذا لم يكن هو نفسه على دين موسى؟

ففى إنجيل بَرْنابا: «حينئذ أجاب يوحنا: يا معلم. لنغتسل كما أمر الله على لسان موسى. قال يسوع: أتظنون أنى جئت لأبطل الشريعة والأنبياء؟ الحق أقول لكم: لعمر الله أنى لم آت لأبطلها ولكن لأحفظها؛ لأن كل نبى حفظ شريعة الله، وكل ما تكلم الله به على لسان الأنبياء الآخرين. لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته لا يمكن أن يكون مرضيا لله من يخالف أقل وصاياه، ولكنه يكون الأصغر فى ملكوت الله، بل لا يكون له نصيب هناك. وأقول لكم أيضا: إنه لا يمكن مخالفة حرف واحدٍ من شريعة الله إلا باجتراح أكبر الآثام». (بَر ٣٨: ١-٨)

هل أبطل عيسى عليه السلام شريعة التوراة؟ هل نسخها؟ إنه يقرر أمرين فى هذا النص:

أولهما : أن كل الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى حفظوا شريعة التوراة . أى لم ينسخوها .

والآخر : كُل الأنبياء حفظوا أيضا أسفارَ الأنبياء الآخرين . أى قرأوا أسفار الأنبياء . كزبور داود، وسفر إِشَعياء وغيرهما .

وهذا النص مذكور أيضا فى إنجيل متى وهو : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض، بل لأكمل . فإنى الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس، حتى يكون الكل، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا، يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات . فإنى أقول لكم : إنكم إن لم يزد بِرُكم على الكتبة والفَرِّيسيِّين؛ لن تدخلوا ملكوت السموات » . (متى ٥ :١٧ - ٢٠)

إن عيسى عليه السلام يقول :

١ - ما جئت لنسخ التوراة .

٢ - أو إبطال أسفار الأنبياء .

ماجئت للنسخ، بل للإصلاح . والأصل اليونانى مكتوب فيه : للإصلاح . وبالغ النصارى فى اللفظ فوضعوه مُوهما للتكميل . وليس عندهم أى تكميل تركه عيسى عليه السلام . وأيضا : فى نهاية حياته صرح لهم بأن يأخذوا الدين من علماء اليهود . وهم لم يعترفوا به، ولابتكميله . إن كان له تكميل . وليس له .

ففى قرب نهاية حياته على الأرض يحكى عنه متى : « حينئذ خاطب يسوعُ الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسىٍّ موسى جلس الكتبة والفَرِّيسيُّون . فكان ما قالوا لكم أن تحفظوه؛ فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا، لأنهم يقولون ولا يفعلون . (متى ٢٣ :١ - ٣)

٣ ـ ويصرح بأن الناموس لن يُنسخ ولن يزول منه حرف واحد حتى يكون الكل . أى يأتى محمد ﷺ صاحب ملكوت السموات ـ وقد وضحنا هذا فى غير هذا الموضع .

٤ ـ وهدد المسيح أتباعه بأنهم إذا حرفوا كلامه؛ فإنهم سيكونون خزايا وندامى بين أتباع صاحب الملكوت . وهذا مشاهد الآن من أحوال النصارى . فإنك لو خالطتهم تجد عندهم شيئا من الحياء والخجل . يدل على أن عندهم خلل واضطراب فى أمور الديانة، وأن المسلمين على حق .

وأكد المسيح على أنه غير ناسخ للتوراة فى أكثر من مناسبة . فقد قال فى متى قبل وصيته لهم بالسماع من علماء اليهود بقليل : « بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كلُّه والأنبياء » . (متى ٢٢ : ٤٠)

والوصية الأولى : هى شهادة أن لا إله إلا الله ومحبة الرب من كل القلب .

والثانية : هى محبة القريب مثل النفس .

وبناء على ما تقدم : فإنه يجب على النصارى أن يرجعوا إلى دين اليهود، ويسمعوا من كلام علماء اليهود . ودين اليهود ينكر التثليث ويصرح بالتوحيد . وهذا هو الدليل القوى فى نقد التثليث .

ثم بعد إرجاعهم إلى دين اليهود، يتوجه النقاشُ إليهم جميعا فى النبى المنتظر . ويُمهد للكلام فى شأنه بالكلام فى موضوع « نسخ الشرائع » ذلك لأن اليهود يزعمون : أن شريعتهم لن تنسخ إلى يوم القيامة، والنصارى يزعمون : أن المسيح يسوع نسخ التوراة . ولليهود دعاوى وللنصارى دعاوى . وللمسلمين حُجج يقدرون بها على إفحامهم، وأقواها : أنه إذا كانت التوراة لن تنسخ إلى يوم القيامة فلماذا قال موسى : إن نبيا مثلى سيظهر من بعدى وله تسمعون فى كل ما

يكلمكم به؟ وقول اليهود: إن موسى بيَّن لنا: أن شريعته أبدية. والأبد إلى نهاية الزمان. هو قول للمغالطة. فإن الأبد محدد بنهاية بركة إسحق، وابتداء بَرَكة إسماعيل. وإلا ما كان يعد إسماعيل بملك ونبوة في قوله لإبراهيم: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أُباركه» وقول النصارى: إن التوراة قد نسخها يسوع المسيح، ينقضه تصريح المسيح بعدم النسخ. وقولهم لانبى بعد المسيح. ينقضه تصريح المسيح باقتراب ملكوت السموات. وقولهم: إن الملكوت له وسينزل آخر الزمان لتكميله، ينقضه تصريحه هو نفسه بأنه لن ينزل فى آخر الزمان. فقد قال فى إنجيل يوحنا: «ولست أنا بعدُ فى العالم». (يو ١١:٧١)

يقول ابن كمونه اليهودى ما نصه: «وفى الإنجيل عدة مواضع تدل على قول اليهود بالمجازاة بعد الموت، تظهر لمن يتأملها. لكنهم يدَّعون أن شريعة التوراة، نسخها السيد المسيح. هذا مع مافى الإنجيل ما معناه: «إنى لم أجيئ لأنقض توراة موسى، لكن جئت أتممها، بعمل الحق. آمين آمين. أقول لكم: تتغير السماء والأرض، ولا يتغير من توراة موسى حرف واحد، ولا يبطل من توراته شئ ومن يُنقص من توراة موسى صغيرة أو كبيرة. ناقصا يسمى فى ملكوت السماء».

وحيث أنكر اليهود على السيد المسيح كون بعض أصحابه فرك السنبل يوم السبت وأكل؛ لم يجبهم بأن السبت قد نسخ، بل بين أن ذلك لم يمتنع منه المضطر إلى الأكل، كما لم يمتنع داود، حيث اضطر من أن أكل من مائدة الرب، التى لا يجوز الأكل منها، وأنه تمسك بفرائض التوراة إلى آخر وقته. وكذا أصحابه بعد رفعه. إلاَّ أن «فُولُوس» منعهم من ذلك بعد زمان طويل عند احتياجهم إلى مخالطة الأمم» أ.هـ

وقال ابن كمونة أيضا بعد ذلك ما نصه: «وتغيير أحكام التوراة، كإباحة لحم الخنزير، وترك الختان والغسل؛ مرويٌّ عن الحواريين، لاعن السيد المسيح؛ فإنه

لم يزل متمسكا بأحكامها إلى أن قبضت اليهود عليه . وكان يأمر بها وقال : « ما جئت لأنقضها » وحيث أنكروا عليه ماتوهموه تفريطا فى بعض أحكامها . بين لهم : أنه ليس بتفريط ، وأوضح لهم ذلك بما يقتضيه فقههم وشرعهم . كما هو مذكور فى الإنجيل، وبقى أصحابه على التمسك بها مدة طويلة . إلى أن أظهروا المخالفة لها ، والإعلان بنسخها ، وأنها إنما كان يلزم العمل بها ، إلى حين ظهور السيد المسيح، لاغير. وأكثر ذلك عن رأى فُولُوس الرسول » أ.هـ

التعليق:

كلام اليهود فى أن المسيح عيسى عليه السلام لم ينسخ التوراة، موافق لكلامنا نحن المسلمين فى أنه لم ينسخ التوراة . والقرآن مصرح بذلك، والأناجيل مصرحة بذلك . فليس من خلاف بيننا وبين اليهود فى هذا الموضوع .

وفى رسائل بولس أنه ممن يدعو إلى نسخ التوراة . وحينما أُقرت النصرانية فى مجمع نيقية، كتب النصارى سفر أعمال الرسل ليبينوا فيه خط سير الديانة من بعد رفع يسوع إلى السماء، وكتبوا فيه : أن الحواريين هم الذين ابتدأوا بالشروع فى نسخ التوراة . وذلك ليظهروا تأييدهم لآراء بولس، حتى لايقال : بأنه هو وحده الناسخ للتوراة .

ونحن المسلمين نقر بإمكان نسخ التوراة كما يقر النصارى . وحجحنا على إمكان نسخها هى نفسها حجج النصارى . فنحن والنصارى متفقون على أدلة نسخها، بل واليهود أيضا من طرف خفى يصرحون بأنها ستنسخ على يد « المسيح » الذى هو« المسيًّا » والمسيح عند اليهود ليس هو عيسى بن مريم، فإنه عندهم « مسيح » لا « المسيح الرئيس المعهود المعروف » إذْ التوراة تصرح بالسماع لكلامه إذاظهر. وسماع كلامه هو إثبات النسخ لشرع مَنْ قبله .

وابن المحرومة النصراني. في نقده لكتاب تنقيح الأبحاث يقول: إن التوراة مُفسدة لأخلاق الناس. إذْ فيها أن داود عليه السلام زنى بامرأة أُوريّا الحِثّي، واستعمل الحيلة معه وأن ابنه زنى بأخته. وأن ابنه أيضا زنى بنساء أبيه أمام أعين بني إسرائيل.

ويقول أيضا: والسيد المسيح نقض منها شيئا، وقول ابن المحرومة فيه تناقض ظاهر. أظهره المطران باشافي قوله: «ولكن كيف نفسر قول السيد المسيح: «إني ما جئت لأنقض التوراة ولكن جئت لأتممها»؟ النقض في نظر ابن المحرومة يكون إما للهدم أو لإعادة البناء. وظاهر أن المسيح لم ينقض الشريعة الموسوية، إلاَّ لتتميمها، بذكر ما أغفلته من شؤون الصوم والصلاة والبعث والمجازاة الأُخروية. فالذي يهدم جدارا ليبني فوقه، لايُدعى ناقضا بل متمما. تفسير بارع، ولكنه يُحمِّل ابن المحرومة وزر التناقض معذاته، فإذا كان السيد المسيح لم ينقض من الشريعة الموسوية إلا بمقدار ما يُمكِّنه من رفع بنائها، والبلوغ بها إلى غايتها القصوى. فذلك الدليل على أن التوراة ليست كلها. كما صورها لنا صاحب الحواشي. مَفْسدة للمعتقدات والأخلاق» أ.هـ

ويقول ابن كمونة اليهودي. المتوفى سنة ٦٨٣ هـ في بغداد: إن الأُمم كلهم من لدن آدم عليه السلام كانوا مكلفين بشريعة إلهية. وأن بني إسرائيل من لدن موسى عليه السلام مكلفون بشريعته، مع ماكلفت به الأُمم من قبل. أي أن اليهود عليهم العمل بـ: ١ ـ شريعة موسى. ٢ ـ وبما كان من قبل الأُمم.

وأن الأُمم ليسوا مكلفين بشريعة موسى؛ فإنها لبني إسرائيل من دون الناس.

هذاكلام ابن كمونة. وقد رد عليه ابن المحرومة النصراني. وأنا ذاكر الآن كلام الإثنين بنصه ليطلع عليه الذين يجهلونه من المسلمين وغيرهم. والنص من كتاب ابن المحرومة. وهو:

ردود « ابن المحرومة » النصرانى
على « ابن كمونة » اليهودى

قال ابن كمونة:

« وأتاهم موسى عليه أفضل الصلاة والسلام، أعنى بنى إسرائيل بالشريعة المقدسة، ولم ينسخ الشريعة التى أمر بها الأمم من لدن آدم ونوح عليهما السلام، ولم يفسخها، ولكن أكد الوصية بها، وزاد عليها ما خصص به بنى إسرائيل دون غيرهم من الأمم » .

قال ابن المحرومة:

« أ ـ قد غلب على ظنى أن المصنف لماسطر هذا الكلام، إما إنه قد كان سكران أو كان قد عرض له طرف ماليخوليا، وإلا فكيف تجاسر على التفوه بهذا الكلام الذى فساده ظاهر لبعض الأطفال، فضلا عن المحنكين والرجال، أعنى قوله: ولم ينسخ الشريعة التى أمر بها الأمم من لدن آدم ونوح عليهما السلام. ألا يرى أن موسى نسخ فى التوراة شريعة آدم وشريعة نوح معا؟:

ب ـ أما نسخة لشريعة آدم؛ فلأنه حرم فى التوراة من الحيوان ما كان حلاً لآدم وأهل زمانه. كيف لا والتوراة نفسها تشهد بأن الله تعالى قال لآدم عليه السلام ولحواء: « هو ذا أعطيتكما كل عشب يزرع على وجه الأرض كلها وكل شجرة مثمرة، فلتكن لكم لتأكلوه، وكل دواب الأرض وطير السماء وكل ما يتحرك على الأرض فيه نفس حية، وكل خضرة العشب لتأكلوه » .

ج ـ وأما نسخه لشريعة نوح؛ فلأن موسى نفسه حرم فى التوراة من الحيوان أيضا ما لم يحرمه الله تعالى على موسى وقومه، وذلك لأن التوراة تشهد بأن الله تعالى قال لنوح: « وكل دابة حية فهى لكم لمأكلكم كمثل خضرة العشب

أعطيتكم لتأكلوا. فكلوا، ولكن لا تأكلوا اللحم الذى فيه نفسه دمه فلاتأكلوه »
هذانقل من التوراة، فإذا عرفت ذلك ظهر لك أن كلام المصنف لاشك فى فساده.

د ـ وأزيد فأقول: إن موسى نسخ شريعة إبراهيم أيضا؛ لأنه نسخ فريضة الختانة المأخوذة عن إبراهيم حتى فى ولديه، وأما الولد الواحد فما ختنه بالكلية، وأما الولد الآخر فختنته أمه لا عن إذن موسى ولافى اليوم الثامن من ولادته، لكن بعد سنوات مضت من عمره على ما هو ظاهر من كلام التوراة. ومع ذلك نسخ هذه الفريضة فى كل مولود ولد فى الفقر، وما نهاه الله تعالى عن نسخها، واستمرت منسوخة إلى حين جددها يوشع بعد موت موسى بزمان. فقد ظهر مما ذكرناه فساد قول المصنف حيث قال: ولم ينسخ الشريعة التى أمر بها الأُمم.

هـ ـ وأما قوله: « ولكن أكد الوصية بها » فهو أوغل فى الفساد وأوضح بطلانا. ولظهور كذبه لا يحتاج إلى الكلام عليه. وأما قوله « وزاد عليها ما خصص به بنى إسرائيل دون غيرهم من الأمم » فهو كلام صحيح، ولهذاجب أثقال الشريعة الموسوية، وأعفاهم من الدخول تحت اللعنة التى فى السفر الخامس من التوراة التى لابد أن تلزم أهل الملة اليهودية، إذاخالفوا شيئا من أوامر التوراة ونواهيها.

و ـ والمصنف قد شهد فى هذا الفصل بأن فرائض التوراة الزائدة على فرائض الأمم السالفة تختص ببنى إسرائيل دون غيرهم. ويلزم من ذلك أن تكون اللعنة التى فى السفر الخامس مخصوصة بالمخالفين من بنى إسرائيل دون غيرهم من الأمم التى لاتعتقد وجوب التقيد بالشريعة الموسوية. ومما يؤيد ذلك أن يقال: لو لم يكن مرادموسى عليه السلام تخصيص اللعنة باليهود المخالفين دون سائر الأمم المخالفين لأحكام التوراة لكان قد جاء بعبارة تتناول اليهود وغيرهم، لكنه لم يفعل ذلك ـ أحسن الله مكافأته عن الأمم ـ».

قال ابن كمونة:

« وخصص سبط ليوى، لا سيما هرون ونسله، بفرائض وتكاليف غير لازمة لسائر بنى إسرائيل. فكل الأمم داخلون تحت التكليف بما أمرهم الله به، على لسان أنبيائه قبل موسى عــم وعلى لسانه أيضا. وبنو إسرائيل مكلفون بما أمر به الأمم قبل موسى، وبزيادة خصهم الله بها على لسان رسوله موسى عم تشريفا لهم وعناية بهم ».

قال ابن المحرومة:

أ ـ أما قوله: « وبنو إسرائيل مكلفون بما أمر به الأمم قبل موسى » فقد ظهر فساده فى الحاشية السابقة على هذه. وأما قوله: « وبزيادة خصهم الله بها على لسان رسوله موسى عليه السلام تشريفا لهم » فلقائل أن يقول عليه: إن نسبة التكاليف إلى نفوس الناس كنسبة الأدوية إلى أبدانهم. فكما أن البدن القريب من الصحة لايحتاج من الأدوية إلاإلى السهل اليسير؛ فكذا النفس القريبة إلى الخيرية لا تحتاج من التكاليف إلا إلى اليسيرة السهلة. وأما كثرة التكاليف فإنما تحتاجها الأنفس لشريرة التى تمكنت منها الأخلاق الرديئة، تمكن الأمراض الخبيثة من البدن. فإن الطبيب حينئذ يحتاج فى العلاج إلى تكثير الأدوية واستعمال القوى منها دون الضعيف. وعلى ذلك لا تكون الزيادة المذكورة تشريفا لهم، كما قال المصنف، بل إنما تكون قيودا تمنعهم عن سلوك السبل الرديئة، التى فى طباعهم الميل إلى سلوكها.

ب ـ فإن نازعنى فى ذلك منازع وقال :إن هذا الذى ذكرته غير لازم لكلام المصنف. فجوابه: أن هذايلزم المصنف وسائر الذين يقولون مقالته لزوما لاخلاص لهم منه. وذلك لأن المصنف قد قال فى جواب الإعتراض الخامس ما حكايته: « إن الأنبياء أطباء النفوس بإرشاد الله تعالى إياهم. وكما أن طبيب الأبدان إنما

يعالج المرض الحاضر فى البدن لاغيره، فكذا طبيب النفوس الذى هو النبى إنما يداوى مرض نفوس الناس على حسب مايجده فى زمانه».

ج ـ هذا كلامه بعينه، فعلى هذه القاعدة نقول: لو لم تكن أمراض نفوس اليهود أكثر من أمراض نفوس الأمم السابقة وأشد رداءة؛ لما كان طبيبها ـ وهو موسى عليه السلام ـ محتاجا إلى تكثير الأدوية والمبالغة فى المعالجة إلى حد يزيد على كل علاج سبق عليه. ومن هذا يظهر فساد قول المصنف حيث قال: إن الزيادة كانت تشريفا لهم».

قال ابن كمونة:

«واختص هرون وبنيه بزيادة تكاليف عليهم، تمييزالهم عنهم بمزيد تشريف واختصاص وتعظيم وجعل من التزم من الأمم بما كلف به بنو إسرائيل، كالسبت وغيره، مما يختصهم، جاريا مجراهم، بحيث، لو عاد عن التزام ذلك وجب قتله. ولم يجعل لأحد سبيلا إلى الالتحاق ببنى هرون عليهم السلام، لا من بنى إسرائيل ولا من غيرهم. وفضلوا على من سواهم تفضيلا كثيرا. وفضل الإمام الأعظم منهم، وهو الذى بمنزلة هرون فى البيت المقدس، بمزيد تكليف على بقية الهارونيين. فقد بان حينئذ أن زيادة التكاليف على حسب زيادة التفضيل فى الدنيا وفى الآخرة».

قال ابن المحرومة:

بل قد بان من الحاشية السابقة على هذه؛ مايدل على أن الأمر بخلاف قول المصنف ههنا. وأزيده فأقول: لم لايجور أن تكون زيادة التكاليف جُعلت لهم عثره تتضاعف أوزارهم بتجاوزها؛ فيشتد بها عذابهم فى الدنياوعقوبتهم فى الآخرة. ومما يؤيد هذه الدعوى: قول حزقيال النبى عن الله تعالى: «أعطيت آباءكم وصايا غير حسنة ولايحيا بها من عمل بها».

قال ابن كمونة:

« وجميع ما وصاهم الله به على لسان رسوله الأمين موسى صلوات الله عليه، وهو اعتقاد التوحيد وترك عبادة الأصنام؛ وأن لايشركوا بالله شيئا، وأن ينزهوه عن الشبيه والنظير والمعين والمشير، وأن يعبدوه وحده ويحبوه بكل قلوبهم وأنفسهم وجهدهم؛ ويخافوه، ويستعينوا به، ويتوكلوا عليه، وأن يعتقدوا أنه العالِم الذى لايعزب عن علمه شئ والخالق لكل شئ؛ وأنه هو الذى يميت ويحيى ويمرض ويشفى؛ ولا منجى من قدرته؛ وأنه الأول والآخر، لا إله آخر سواه. وأمرهم بمكارم الأخلاق وبالصلاة والصوم ».

قال ابن المحرومة:

أ - لو أن موسى أمرهم بكل واحدة من هذه المذكورات؛ لكان ذلك مبثوتا فى التوراة، مثل ما هى سائر الأوامر والنواهى مثبوته فيها. ولا شك أن التوراة ليس فيها من مكارم الأخلاق الحقيقية شئ أبدا، لكن فيها ما ظاهره يوهم أنه من مكارم الأخلاق وباطنه بخلاف ذلك. فمنه قول التوراة فى السفر الخامس: « لايحل لكم أن تأكلوا الربا فضة ولاطعاما لا قليلاولا كثيرا، فأما من الغريب كل، وأما من إخوتك فلا تأكل » ومعلوم أن ظاهر هذا الكلام يوهم النهى عن أكل الربا، وباطنه يدل على الأمر بأكله؛ لقوله: « أما الغريب كل » ولا شك أن مكارم الأخلاق تقتضى أن لايأكل الإنسان الربامن غريب ولا قريب.

ب - ومن ذلك: قول التوراة فى السفر الخامس أيضا: « إذ لقيتم عبدا فارا من سيده فلا تحبسوه ولا تدلوا عليه بل أجلسوه معكم حيث أحب من قراكم » ومعلوم أن مكارم الأخلاق الحقيقية تقتضى أن يجمع بين العبد وسيده ويستقصى حالهما بالتحقيق. فإن كان العبد قد فر من جور سيده فيجاره ولايسلم إلى سيده. وإن كان فر لسبب جريمة اجترمها كسرقة مال أو قتل نفس أو هتك عورة، فيسلم إلى سيده لينتقم منه.

ج ـ وسأنقل مما فى التوراة من الحث على سوء الأخلاق ما يدل على فساد قول المصنف، فانتظره وانظر فيه. وأما الصلاة والصوم فإن التوراة خالية عن ذكرهما بالكلية، ويعلم ذلك كل من تصفحها».

قال ابن كمونة:

«والصدقة والعدل والإنصاف، والوفاء بالعهد والنذر، وإكرام الوالدين والعلماء، وإطاعة الولاة وإكرامهم. وأن يحبوا لغيرهم من الخير ما يحبونه لأنفسهم».

قال ابن المحرومة:

«أليس فى آلسفر الخامس من التوراة: «هؤلاء الست الأمم أكثر منكم وأشد. فإذا أسلمهم الله ربك فى يديك فاضربوهم ولاترحموهم» وفيه أيضا: «إذا أراحك الله من أعدائك الذين حولك فى الأرض التى يهب الله لك ميراثا، فلا تنس عماليق وذكره. فامحوا ذكرهم من تحت السماء، فلا تنسه، ولا تغفلُ عنه» وفيه أيضا: «أبغض شانئك، وشق على أعدائك» سلف: أن التوراة أمرت بأكل الربا من الغريب ونهت عن أكله من اليهود. وهذه الأقوال بعكس قول المصنف القائل«وأن يحبوا لغيرهم من الخير ما يحبونه لأنفسهم».

وقال ابن كمونه:

«وعرفهم ما يسلكونه من طريق السياسات المنزلية والمدنية والنفسية. ونهاهم عن الرذائل والجور، والقتل والسرقة والزنا وتمنى مال الغير وأمرهم بأشياء، ونهاهم عن أشياء. لا نعقل نحن فائدة التكليف بها.

وقد حصرت أوامر التوراة ونواهيها المستمرة الوجوب فى ستمائة وثلاثة عشر، وهى عدا ما أمر به ونهى عنه فيها لاعلى الدوام والاستمرار. وتفاصيل ذلك تطول. وقد أفردت له كتب أخرى.

واعتقدت اليهود : أن ثواب الطاعة هو الخلود فى نعيم الجنة والعالم الآتى، وعقاب المعصية هو العذاب فى جهنم من غير خلود لمعتقد هذه الشريعة، وإن كان عاصيا. ولم يبين شئ من ذلك فى التوراة تبيينا مصرحا ، للسبب الذى سنذكره ، ولكن أحبار الأمة وعلماءهم ونقلة شرعهم نقلوه » .

قال ابن المحرومة:

أ - هذا الأعتقاد زيادة علي ما في التوراة، لأنها ما ذكرته لا تعريضا ولا تصريحا والملة التي تعتقد ما ليس في كتابها تكون خارجة عن حكم شارعها وقادحة في تشريعه. والتوراة قد نطقت بأن ثواب الطاعة فوائد دنيوية، وعقاب المعصية آفات وبلايا دنيوية أيضا. فمن ذلك قول السفر الخامس: « فإن أنتم سمعتم هذا القضاء وحفظتموه وعملتم به، فسيحفظ لك الله ربك النعمة والميثاق الذي حلف لآبائك، ويحبك ويبارك عليك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك وزرعك وخمرك ودهنك ورعية بقرك وقطعان غنمك » .

ب - وفي أواخر السفر الثالث: « إن أنتم سلكتم بسنني وحفظتم وصاياي وعملتم بها أديم أمطاركم في أوقاتها وتبذل لكم الأرض غلاتها وتفرز لكم ثمارها، ويدرك الدارك القطاف، والقطاف يدرك الزارع. وتأكلون خبزا وتشبعون وتسكنون أرضكم مطمئنين، وأكثر لكم السلامة في أرضكم وتناموا آمنين ولا يكون من يخيفكم وأصرف عن أرضكم السباع الضارية، ولا يكون حرب في أرضكم وتطردون أعداءكم، وينصرفون قتلي إذاجازيتموهم، الخمسة منكم يهزمون مائة والمائة منكم يهزمون عشرة آلاف، ويقع أعداؤكم قتلي بين أيديكم في الحرب، وأقبل إليكم وأكثركم وأنميكم » .

ج - ثم زاد علي ذلك أشياء كثيرة من هذا الجنس. وقد جاء في التوراة

نفسها كلام طويل في جزاء الأعمال الرديئة، منه ما هذه حكايته: «فإن لم تطيعوني وتسمعوا قولي بهذه الوصاياكلها ورذلتم سنني وكرهتم أحكامي وزهدتم فيها ولم تعملوا بجميع وصاياي وبطلتم كل عهودي، فأنا أيضا أصنع بكم صنيعكم وآمركم البلاياوالبرص والببق المنقشر الذي لا يبرأ والسل».

د ـ ثم جاء بعد قليل: «ويهزمكم أعداؤكم وتنكسروا بين أيديهم، ويتسلط عليكم شناؤكم وتهربون من غير أن يهزمكم أحد» ثم قال بعد قليل: «وأصير السماء فوقكم كالحديد والأرض تحتكم مثل النحاس، وينقطع قوتكم بالباطل، ولاتغل لكم أرضكم غلاتها ولا تثمر الشجر ثمارها» وجاء أيضا: «وأرسل عليكم السباع الضّارية فتهلككم وتهلك بهائمكم وتقتلكم وتقتل دوابكم».

هـ ـ ثم جاء أيضا: «والذين يبقون منكم ألقي في قلوبهم في أرض أعدائكم، ويطردهم صوت ورقة تتحرك، ويهربون من صوت الورقة كما يهربون من السيف ويسقطون بسرعة من غير أن يطلبهم أحد، ويعثر الرجل بأخيه هاربا من غير أن يطلبه أحد».

و ـ ثم جاء فيها مما هو من هذا القبيل أشياء كثيرة، يعرفها من تصفح جميع التوراة. فهذا وأمثاله يدل علي أن عقاب المعصية أيضا دنيوي، فظهر أن اليهودي الذي يعتقد غير هذالم يكن تابعا للتوراة.

ز ـ وليس يخفي علي لبيب أن الأحبار لما علموا أن الشريعة الموسوية أعوزها هذا الأمر المهم الذي لابد من ذكره في كل شريعة حقه ـ أعني ذكر المعاد والثواب والعقاب الأخرويين ـ تبرعوا تعصبا لشريعتهم وغفلوا عن فريضة النهي عن الزيادة والنقصان. فإن كانت هذه التوراة هي التي أنزلت، فكيف استجاز موسي عليه السلام الإخلال بذكر هذا الأمر الذي هو أهم مهماتِ الشرائع الصحيحة؟ مع أنه

ذكر أشياء لا فائدة في ذكرها. مثل قوله: «وكان نوح ابن خمس مائة سنة. فولد له ثلاثة بنون، سام وحام ويافث» ثم إنه كرر ذلك بعد كلام قليل قائلا: «ولد له بنون ثلاثة، سام وحام ويافث» فيا ليته ذكر المجازاة الأُخروية(١) ولو مرة واحدة.

ح - وإن كانت هذه التوراة غير تلك. فمصيبة اليهود أعظم. وأنت أيها الرشيد المنصف تعلم أن اليهودي الذي يعتقد ماليس في توراته ويجعله ركنا من أركان دينه، يكون قد خرج عن شريعته ونبذها بالنقض، وخالف توراته التي نهته عن الزيادة والنقصان في الشريعة، ولعنته إن زاد أو نقص. والكلام الذي نقله المصنف عن أحبار اليهود ونقلة شرعهم إنما هو من هذا القبيل، وليس من أصل الشريعة الموسوية. فإذاً اعتقادهم ذلك؛ حجة عليهم لا لهم».

قال ابن كمونة:

«وذكروا صفة الجنة وجهنم. ووصفوا النعيم والعذاب بأشد استقصاء. وأوجبوا ذكر الإيمان بإحياء الأموات في كل صلاة، وحكموا بأنه لا تصح صلاة أخل فيها بذلك. وأوجبوا ذكره أيضا في كل يوم من غير الصلاة، وأوجبوا أيضا عند رؤية مقابر هذه الأمة ولقنوا من وجب قتله عندهم قبل قتله، أن يسأل أن يكون قتله ذلك كفارة عن ذنبه.

ومنهم من اعتقد أن بعث الأموات يحصل مرتين، مرة في زمان المسيح(١) المنتظر عندهم، وذلك البعث مختص بالصالحين من الأمة علي وجه المعجز للمسيح وكرامة لأولئك الصالحين؛ وتارة ببعث الموتي في القيامة العامة لكافة الناس، الصالحين منهم والطالحين، للجزاء بالثواب الأبدي علي الطاعة وبالعقاب علي المعصية».

قال ابن المحرومة:

« جميع هذا الكلام هو من البدع التي اخترعها علماء اليهود من أنفسهم أو استحسنوها من أقاويل غير اليهود لأن التوراة ليس فيها من ذلك ولا لفظة واحدة. فالذي يعتقد صحة هذا الكلام يلزمه القول بأن الشريعة مأخوذة عن أحبار اليهود لا عن موسي، وأن اليهود كافة ليسوا بتابعين لموسي ولا للتوراة. لكن لهؤلاء الأحبار. ومن يلزمه هذااللازم؛ غير داخل تحت شريعة نبي من الأنبياء. لا موسي ولا غيره ».

قال ابن كمونة:

« واعتقدوا٦ أيضا بقاء الأنفس بعد فساد الأجساد وأنها لا تعدم أبدالورود ذلك في كتب الأنبياء بعد موسي عم، ولنقل أحبارهم وعلمائهم الصادقين له.

ونبغ منهم من زعم أن العالم الآتي هو ما بعد الموت فقط وأن الثواب الأبدي والعقاب إنما هو للأنفس المجردة بعد خراب أجسادها، وليسا بجسمانيين. بل هما روحانيان فحسب. والنصوص الكثيرة المنقولة عن علمائهم وحملة شرعهم ناطقة بالمجازاة بالثواب والعقاب، بغير عود الأنفس إلي الأبدان. وهي غير قابلة للتأويل عند كل عاقل يتأملها جميعا.

واعتقدوا أن هذه الشريعة لا تنسخ ولا تبدل بغيرها، لنصوص كثيرة جاءت في التوراة دالة علي ذلك، ولتواتر الأمة به، ودعواهم بأنه معلوم بالضرورة من دين موسى عم ».

قال ابن المحرومة:

« أ - إن هذاالاعتقاد في غاية الفساد. ومما يدل علي فساده: ما هو ذا أنقله من كلام الأنبياء لبني إسرائيل عليهم السلام قال إرميا: « هذه أيام تأتي، قال الرب

أعاهد فيها بيت إسرائيل وبيت يهوذا عهدا جديدا ليس مثل العهد الذي عاهدت به آباءهم في اليوم الذي أخذت بأيديهم وأخرجتهم من أرض مصر، ولأنهم أبطلوا ميثاقي وعهدي، وأنا أيضا زريت بهم. قال الرب».

ب - وقال إشَعيا: «استخرج من صهيون الشريعة وكلمة الرب من أورشليم وتحكم بين الشعوب وتوبخ الأمم الكثيرة الذين في البعد» وقال ميخا: «إنما تخرج الشريعة من صهيون وكلمة الرب من أورشليم وتحكم وتوبخ الأُمم الكثيرة الذين في أقطار الأرض».

ج - هذا بعض كلام الأنبياء وليس لأحد أن يحمله علي شريعة اليهود؛ لأنها أخذت من طور سينين لا من صهيون. وقال إشعيا: «وبنو إسرائيل الذين اختاروا الأصنام عليَّ وعملوا الخبث بين يدي؛ أعجل خزيهم وأكافئ الشعب الردئ بسوء عمله الفاحش وتجئ الشعوب كلها وتقوم بين يدي، وينظرون إلي الشعب الخبيث بني إسرائيل، لا يبلي خزيهم ولاينقطع إلي الدهر».

د - وقال أيضا: «تَقول الشعوب: هلموا ننطلق إلي طريق الرب لأن بني إسرائيل تركوا طريق الله تعالي وصاروا مطرودين. تعالوا نسلك طريق الرب ونؤمن به. إلهنا الإله الحق» وقال حزقيال عن الله تعالي: «أعطيت آباءكم وصاياغير حسنة ولايحيا بها من عمل بها» وهذا كلام النبي عن الله تعالي، وفيه إشعار بجواز النسخ لأن الوصايا غير الحسنة يجوز نسخها بالوصايا الحسنة، بل يجب نسخها بها.

هـ - هذا أنموذج من قول الأنبياء في هذاالمعني، وفيه كفاية لكني أزيده وأقول من طريق آخر: إن النسخ لا يقع إلافي الفرائض السمعية دون غيرها. والفرائض السمعية هي مثل تعظيم يوم دون يوم، وإجلال موضع دون موضع،

وتحريم طعام دون طعام، وذلك لأنه يحسن من الآمر أن يأمر في وقت ما بأمر مَا لمصلحة يوجبها ذلك الوقت، ويأمر بعد ذلك بغير ذلك الأمر لمصلحة أخري. إذا عرفت ذلك فاعلم: أنا إذا ألزمنا اليهود نسخ فريضة سمعية من فرائض التوراة ثبت نسخ شريعتهم قطعا، لأن الكل ينتفي بانتفاء أحد أجزائه.

و - ومعلوم أن فريضة السبت فريضة سمعية وقد نسخت في حصار مدينة أريحا؛ لأن الكهنة طافوا حولها سبعة أيام متوالية، ومعلوم أن أحد هذه السبعة الأيام لابد أن يكون يوم السبت بالضرورة، وقد عملوا فيه مثل ما عملوا من شغلهم في الستة الأيام الأخر، وهذا نسخ لفريضة السبت وأيضا: ما من مسافر من اليهود كافة مع القوافل إلا وهو يحل السبت حتي أحبارهم وفقهاؤهم، وهم لا يتحاشون عن ذلك ولا ينكرون علي أحد من اليهود الذين يسافرون، مع علمهم بأنهم يضطرون إلي حل السبت حتما.

ز - وفريضة القربان في الهيكل أيضا فريضة سمعية وقد نسخها إيليا النبي عليه السلام بتقريبه القربان في غير الهيكل. وهذا نسخ لهذه الفريضة. ونسخُ فريضة واحدة من الشريعة يستلزم نسخ تلك الشريعة، وذلك لأن القاعدة الكلية لامتناع شئ علي شئ يبطل بوجوده في جزئية واحده له. ولا خفاء أن الشريعة الموسوية تمنع التقريب في غير البيت المعهود منعا كليا. وإيليا النبي عليهالسلام أبطل هذه القاعدة بتقريبه في غير البيت، ولم يكن ذلك منه علي سبيل العصيان لله، وإلا ما كان قَبِلَ القربان منه، فبقي أن يكون علي سبيل النسخ.

ح - ومما يدل علي النسخ دلالة أوضح من هذه وأبلغ: ما نسخه موسي من الفرائض السمعية - علي ما هو مذكور في التوراة - فإنه قد جاء في السفر الثالث منها: «عورة امرأة أخيك لا تستحل فإنها عورة أخيك» ثم جاء فيه بعد ذلك ما

أكده وهو قوله: «ورجل ينكح امرأة أخيه قد ارتكب إثما لأنه كشف عورة أخيه فليموتا ولايخلفا ولدا» ثم نسخ هذه الفريضة في السفر الخامس حيث قال فيه: «وقال الله لموسي قل لبني إسرائيل إذا كان أخوان فمات أحدهما وليس له ولد فلا تخرج امرأته من بيته، ولينكحها أخوه فإن ولد له ولد فليسميه باسم أخيه الذي مات لئلا يبطل ذِكْره من بني إسرائيل».

ط - ومما يدل علي النسخ أيضا: ماجاء في السفرالثالث من النهي عن الربا مطلقا، وهذه حكاية كلامه: «لا تعط فضتك بأجر،وبالربا لاتعط طعامك» ثم نسخ ذلك بقوله في السفر الخامس: « لا يحل لكم أن تأكلوا الربا. فضة ولاطعاما لا قليلا ولا كثيرا. فأما من الغريب كل، وأما من إخوتك فلا تأكل» هذا كلام التوراة. ولا شك أن الأمر بأكل الربا من الغريب ينسخ ما سبق من النهي عنه مطلقا.

ي - ثم جاء في السفر الرابع ما معناه: «أن الله تعالي أمر برجم الشخص الذي التقط الحطب في القفر يوم السبت. فرجمه الشعب» ثم نسخ هذا الحكم في السفر الخامس حيث قال: «وإذا أذنب رجل ذنبا فليقتل ويصلب علي خشبة ولاتبت جسده علي الخشبة ولكن يدفن في يومه» ولا شك أن هذا الحكم نسخ أحكاما كثيرة لأن المفهوم منه هو قتل المذنب مطلقا، ومعلوم أن الذي التقط الحطب مذنب، فكان يجب قتله لا رجمه. وقالع العين أيضا مذنب فيجب قتله علي هذا التقدير لاقلع عينه. كما قيل في موضع آخر في التوراة: «العين بالعين» وهذا نسخ ظاهر، وقس عليه قول التوراة: «السن بالسن» وغير ذلك.

ك - ثم إن التوراة أمرت بالطلاق مطلقا في موضع ونهت عنه في موضع آخر مخصوص، فأحد الأثنين لابد أن يكون ناسخا والآخر منسوخا؛ فإذاً قد ظهر

فساد قول القائل بأن شريعة اليهود لا تنسخ. فإن كابرني مكابر، وغالطني مغالط وقال: إن مرادنا بقولنا لا تنسخ هو أنها لا تنسخ بجملتها أي لاينسخ كل واحد واحد من فرائضها بأسرها. ولسنا ندعي امتناع نسخ بعض فرائضها دون البعض، فجوابه: أن نسخ ثابت علي تقديرنسخ بعض الفرائض. وقد لزمكم ولا مفر لكم منه.

ل ـ وأما النسخ علي التقدير الذي ذكره المكابر فهو غير معقول. لأنه ممتنع الوقوع في كل شريعة حتي في شريعة النصاري التي يعتقد اليهود فسادها. مع علمهم بأنها قد تضمنت الإقرار بالربوبية وبوجود الملائكة وبقاء الأنفس بعد الموت والمعاد والمجازاة الأخروية وأمرت بالإحسان إلي كل خلق الله بحسب الاستطاعة وبردع قوة الشهوة والغضب وببر الوالدين وبنصرة المظلوم وبمساعدة الضعيف وبما يشاكل ذلك. وهذا وأمثاله لا يجوز نسخ جميعه في شريعة من الشرائع أبد الآبدين.

م ـ ولا يقع النسخ أبداإلافي الفرائض السمعية لاغير؛ وحيث قد لزم اليهود نسخ بعض فرائض التوراة السمعية، لزمهم نسخ شريعتهم حتما، لأن العقل السليم يحكم بأن انتفاء البعض يستلزم انتفاء الكل؛ ومثال ذلك: أن العشرة إذا انتفي منها واحد انتفت عشريتها قطعا؛ والصادق إذا كذب مرة واحدة انتفي صدقه؛ والعفيف إذا زني مرة واحدة انتفت عفته؛ والثقة إذاسرق مرة واحدة انتفت ثقته. وأمثال ذلك كثير. وإذ ثبت نسخ بعض الشريعة الموسوية ثبت بواسطة ذلك نسخها لزوما، فبطل قول من يجحد نسخها وصح من يدعي نسخها.

ن ـ ومن المحتمل أن يكون موسي عليه السلام قد نبه علي نسخ شريعته بسكوته عن ذكر المجازاة الأخروية لعلمه بأن أرباب العقول السليمة لايخفى عليها

أن الأمور الأخروية أشرف من الأمور الدنيوية وأهم منها. فإذا جاءهم من يستميلهم إلي شريعة تتضمن ذكر المجازاة الأخروية أجابوا من غير توقف لعلمهم بأنها أشرف من المنسوخة، كما أن الآخرة أشرف من الدنيا. هذا ما يتعلق بنسخها.

س ـ وأما اعتقاد اليهود بأن شريعتهم لا تبدل بغيرها. فهو مردود من وجوه كثيرة، منها ما نقله المصنف عن أحبار اليهود ونقلة شرعهم من ذكر جزئيات الجنة والنار. وهنا تبديل لا شك فيه لأن النظرة السليمة تشهد أن المزاد عليه مع الزيادة غير الذي كان قبل تلك الزيادة. وهذا الحكم لا ينكره من له في الإنسانية نصيب. ومنها ما فعله «أنقلوس» صاحب اللسان الترجومي، فإنه بدل في التوراة ألفاظا كثيرة مثل جعله بدل قول التوراة «نزل الله»: «تجلي الله». ولا شك أن التجلي غير النزول، فثبت التبديل لزوما، وثبت مع ذلك خروج أحبار اليهود ونقلة شرعهم عن طاعة التوراة ودخولهم تحت اللعنة المذكورة فيها. أما خروجهم عن طاعتها فلمخالفتهم قولها حيث نهتهم عن الزيادة والنقصان. وأما دخولهم تحت اللعنة المذكورة فيها فبسبب أنهم زادوا أشياء ونقصوا أشياء.

ع ـ ولنذكر أنموذجا من الأشياء التي زادوا ومن الأشياء التي نقصوا. أما التي زادوا فمنها زيادة قولية مثل التي حكاها المصنف عن الأحبار، ومنها زيادة فعلية مثل الأصوام التي جددوها بعد وقائع جرت من بعد موت موسي بزمان طويل، ومثل تحريم المآكل التي لم تحرمها التوراة عليهم، وذلك مثل تحريم الجمع بين أكل اللحم واللبن في وجبة واحدة حتي ولو كان من لحم الدجاج والعصافير، وهذاغير محرم في التوراة. نعم الذي هو حرام فيها إنما هو طبخ الجدي بلبن أمه لاغير. وهذالايلزم منه تحريم طبخ اللحم باللبن مطلقا كما قد فعلوه علي سبيل التشريع المؤبد، بل ولا تحريم طبخ الجدي بلبن غير أمه، سواء كان لبن ماعز أو ضأن أو بقر.

ف ـ ومما قد زادوه أيضا : فريضة الافتقاد وبالغوا فيها إلي حد أنهم أفردوا لها مصنفات . ولا شك أنها غير مذكورة في التوراة، وهم يتمسكون بهذه الفريضة تمسكا يفوق تمسكهم بفرائض كثيرة من فرائض كثيرة من فرائض التوراة ولا يشعرون بأنه قد انطوي من ملة اليهود، قبل ابتداع هذه الفريضة، أنبياء وأبرار وصالحون وماعندهم بهذه الفريضة من علم ولاخطرت لهم ببال . فإما أن هؤلاء السلف كانوا علي ضلال أو الخلف هم من الضالين . فهذه الزيادات وأمثالها تشهد عليهم بنسخ شريعتهم وتبديلها بغيرها . وبأنهم استغفلوا نبيهم عن ذكرها . فذكروها نيابة عنه، واستنقصوا شريعتهم فتمموها بهذه الزيادات . هذا مايتعلق بالزيادة .

ص ـ وأما النقصان فمنه أنهم أسقطواترك التقاط الغلات ي السنة السابعة، وعتق العبد أيضا في السنة السابعة من استعبادهم إياه . وهذا، مع أنه يدل علي النسخ، فهو يدل علي التبديل أيضا، لأن المجموع الذي حذف بعضه غير المجموع الذي كان قبل حذف ذلك البعض المحذوف . فقد ظهر لكل رشيد منصف أن الزيادة وكذا النقصان يدلان علي النسخ والتبديل معا دلالة إلزامية لا مفر منها، فبطل ما نقله المصنف عن اليهود وظهر فساد اعتقادهم بأن شريعتهم لا تنسخ ولا تبدل بغيرها .

ق ـ ولقد كان يجب علي اليهود أن لايوافقوا فقاؤهم علي البدع التي ابتدعوها في الشريعة، لقول إرميا النبي عليه السلام القائل عنهم ما حكايته :

« لأنهم جميعهم فجار جماعة الكذب يقذفون الكذب من ألسنتهم كالسهام من القوس، وأكثروا في الأرض من الكذب والزور وخرجوا من الشر إلي الشر ولم يعرفوني يقول الرب » .

ر ـ وقال أيضا: «وكل رجل منهم يغدر بصاحبه ولا ينطقون بالحق ولكن عودوا أنفسهم وألسنتهم كلام الكذب» وقال إشعيا: «يا شعبي رؤساؤكم هم الذين أضلوكم وزعموا أنهم يحسنون إليكم وأفسدوا طرق سبيلكم، لكن سينهض الرب للمحاكمة مع مشايخ شعبه».

قال ابن كمونة:

«فهذه حكاية ما تعتقده اليهود في نبوة موسي وما جاء به، علي وجه الإجمال. فمن أراده تفصيلا فلينظر في التوراة، وأسفار النبوات، وكتب الأحبار، القدماء منهم والمحدثين.

وههنا اعتراضات سبعة:

الأعتراض الأول

إن تواتر اليهود منقطع بواقعة بختنصر وغيرها، فلا يصح شئ مما ذكرتم من المعجزات، ولا من غيرها.

وجوابه:

إن هذه مكابرة، لأن من يسمع أخبارهم، علي حد سماعهم لها، لا يشك في أن هذه اللغة العبرانية التي لا يتكلم بها غيرهم هي التي كانوا يتكلمون بها في ابتداء أمرهم ولا يشك في وجود موسي وهرون وداود وسليمان وغيرهما من مشهوري ملوكهم. ويجزم بوجود المشهورين من أنبيائهم وعلمائهم الذين يتداولون بكلامهم وفقههم، بلولا يشك في مدة بقاء البيت الذي بناه سليمان إلي أن خرب، وفي مدة بقاء البيت الذي بني بعد ذلك، وفي ملك أولاد حشمناي، وتخريب ظيظوس للبيت الثاني، وغير ذلك من تفاصيل أحوالهم وعلمهم وفقههم وغير ذلك، مما لم يتوافر من غيرهم. ولو كان تواترهم منقطعا، لما جزمنا بشئ من ذلك.

وأما قتل بختنصر وغيره لهم فليس فيه ما يدل علي انقطاع تواترهم. أليس الروم ظفر بهم الفرس، وقتلوا رجالهم واستباحوا ذراريهم؛ والروم في أيام الإسكندر جاؤوا إلي فارس، وقتلوا دارا ملكهم، وهدموا حصونهم، وأذهبوا كتبهم. والعرب غزاهم الحبشة، وقتلوهم ونزلوا بلادهم حتي بعث ملك الفرس من هزمهم. ثم إن اليهود لم يكن جميعهم ببيت المقدس حين ظفر بهم فيها بختنصر، ولم يقتل كل من بها.

فإن في يرميا ـ أي في سفره ـ أن عامة بني إسرائيل خرجوا مستأمنة وقد كانوا بعد ذلك موجودين في بلاد لا يحصي عددها صحبتهم النبوة بعد ذلك حدود مائة وعشر سنين.

وأعداؤهم الطاعنون في دينهم يشهدون بما ينافي انقطاع تواترهم فإن صاحب كتاب إفحام اليهود قال في كتابه المذكور ما حكايته:

«وكانت اليهود في قديم الزمان تسمي فقاءها بالحكماء وكان لهؤلاء الفقهاء من المدارس في بابل وسورا والمدائن والشام ما لم يكن لأحد من الأمم مثله. وكان لهم في العصر الواحد ألوفا كثيرة من الفقهاء وذلك في زمان دولة النبط والبابليين والفرس ودولة اليونان ودولة الروم».

إلي ههنا حكاية كلامه

ومن قد كانت حالهم هذه بعد واقعة بختنصر، فكيف يكون بختنصر قد قتلهم إلي أن لم يبق منهم عدد التواتر؛ ثم عقيب واقعة بختنصر، كان لهم اجتماع عظيم لا يشك فيه من يسمع سيرتهم علي الحد الذي سمعوه. وكانت عمارة البيت الثاني بعد الواقعة المذكورة بسبعين سنة. وكانوا حينئذ أمة لا تحصي. ومن أنصف ولم يكن قصده العناد، يعلم قطعاً أن تواترهم ليس بمنقطع

بالكليـة،ولكن بعض أحـوالهم قـد انقطع التـواتر به، لطول المدة ولكونه لم يكن مهما عندهم، فلم يقع الأهتمام به كالأهتمام بغيره، فصار مرويا بالآحاد أو نُسي بالكلية».

قال ابن المحرومة:

إن الذي ادعاه المعترض هو انقطاع التواتر ولا يلزم من ذلك انقطاع تواتر كل واحدة من القضايا التي يدعي اليهود التواتر بها. وحيث قد اعترف المصنف بانقطاع التواتر ببعض الأحوال؛ صار هذا الاعتراف شهادة علي اليهود مقبولة عندهم كافية في الحكم بانقطاع تواترهم، ولاسبيل للمكابر إلي جحد ذلك ولو كان أفصح خلق الله لسانا».

قال ابن كمونة:

«وهذا فليس مختصا بهم دون غيرهم من الأمم».

الأعتراض الثاني

إنا، وإن سلمنا صحة أصل تواترهم، لكنا لا نسلم تواتر التوراة، لأن حفظها لم يكن عندهم فرضا ولا سنة، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة. فلما رأي عَزْرا أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم. وربما يكون قد زاد فيها ونقص بحسب أغراضه. فهي بالحقيقة كتاب عزرا وليست كتاب الله».

قال ابن المحرومة:

أ ـ هذا اعتراض قوي جدا لا نجاة لليهود من التزامه. ومما يدل على صدق دعوي هذا المعترض: أن موسي عليه السلام لا يُتَّهم بالجهل المركب الذي هو عدم اعتقاد الحق مع اعتقاد نقيضه، ولا بأنه يتقصد تضليل أمة أرسله الله لهدايتها. ولا

شك أن التوراة التي بأيدي اليهود فيها أشياء تدل علي جهل قائلها وعلي أنه ضال في نفسه وهو مع ذلك سبب ضلال غيره . وذلك مثل وصف الله تعالي بأنه ندم وأنه استراح من تعبه وأنه خاطب موسي وجها لوجه كما يتكلم الرجل مع صاحبه إلي غير ذلك مما سأنقل بعضه في هذه الحاشية فأقول :

ب ـ إن الندامة لا تصح إلا علي من لا يعلم عواقب أفعاله حتي إذا آل بعض أفعاله إلي عاقبة وخيمة، لم تخطر بباله قبل وقوعها؛ وافته الندامة علي ما فعل. ولما كان الله عالما بجميع الكائنات قبل وقوعها؛ تقدس عن الندامة وتعالي عن تطرقها إليه .

ج ـ وفي التوراة أحكام جائزة مثل قولها عن الله تعالي : « إنني آخذ الأبناء بذنوب آبائهم إلي ثلاثة أحقاب وأربعة» وقد جاء فيها عن شخص اسمه زمري أنه أخطأ في البرية بامرأة فأهلك الله من بني إسرائيل في يوم واحد مبلغ أربعة وعشرين ألف نقفر. وهذا جور ظاهر إذ عدالة الله تعالي لا تقتضي هلاك هذا الخلق بذنب شخص واحد . وهم لا يشعرون به ولا وافقوه علي ذنبه .

د ـ وفي التوراة اختلافات كثيرة لايتوهم وقوع مثلها في كلام الله ولا كلام نبي مرسل . فإن في السفر الأول منها : « وفرق الله بين النور والظلمة ودعا الله النور نهارا ودعا الظلمة ليلا » وفي السفر أيضا ما يخالف هذا الكلام وهو القول عن الشمس والقمر : « وليفرزا بين النهار وبين الليل » وفيه عنهما أيضا : « وليميزوا بين الضوء والظلمة » وكان قد سبق القول بأن الله فرق بين النور والظلمة . وفيه أن الله تعالي قال لآدم : « إنك يوم تأكل منها موتا تموت » وفيه ما يخالف ذلك وهو عن حواء : « فأكلت وأعطت بعلها فأكل معها فانفتحت أبصارهما وعلما أنهما عريانان » ومعلوم أن آدم ما مات يومئذ لكنه ازداد فيه انفتاح البصر.

هـ - وفيه أن الله تعالي قال لنوح: « وأوثقك ميثاقي فأدخل الفلك أنت وزوجتك وبنوك ونساء بنيك معك ومن كل شئ حي من ذي اللحم أدخل معك اثنين في الفلك ليعيشوا ذكرا وأنثي » وفيه ما يخالف هذا وهو القول لنوح أيضا: « واحمل معك من كل الدواب الحلال سبعة. سبعة. ذكورا وإناثا » والرشيد يعلم أن السبعة غير الاثنين والاثنين غير السبعة وأن كل شئ حي غير. والدواب الحلال غير. فإن كان نوح عليه السلام يعمل بأحد القولين يلزمه مخالفة الآخر ولا سبيل له إلي الجمع بينهما لأن الجمع بينهما مستحيل. وأيضا: فإن التوراة ما جاء فيها تحريم حيوان علي نوح وقومه أصلا، فكيف قيل ههنا: « واحمل معك من كل الدواب الحلال سبعة. ذكوراوإناثا »؟ وهل يحمل ذلك إلا علي سهو يَزْرا » وميله مع عادته التي اكتسبها من شريعة اليهود؟ وفيه: « ودخل مع نوح الفلك اثنان اثنان من كل ذي لحم فيه روح الحياة » والذي أُدخل ذكور وإناث من كل ذي لحم كما أمره الله؛ وأغلق عليهم باب الفلك فكان الطوفان. ولا شك أن شهادة التوراة ههنا لنوح بأنه فعل كما أمره الله مردودة بالأمر الآخر القائل: « سبعة سبعة ».

و - وفيه: « فنزل الله لينظر القرية والبرج » وفيه ما يخالف ذلك حيث حكي عن الله: « هلموا بنا ونقسِّم هناك ألسنتهم » وفيه حكاية عن إبراهيم عليه السلام: « فناداه ملاك الله من السماء وقال: إبراهيم إبراهيم، فقال: هاءنذا، فقال: لا تبسط يدك علي الغلام ولا تفعل به شيئا فمن الآن علمت أنك تحبني ولم تبخل بابنك وحيدك علي » فكيف يصدق القول بأن الله ما كان يعلم قبل الآن بأن إبراهيم يحبه حتي علم ذلك في الآن. وكيف يصدق أن إسحق وحيد إبراهيم مع وجود إسماعيل نعم لو قيل وحيد سارة لكان صادقا.

ز - وفي السفر الثاني: « فقال الرب لموسي: أأمر هرون حتي يأخذ العصا وارفع يدك علي ماء المصريين وعلي أنهارهم وعلي غدرانهم وعلي جميع مياههم

وعلي دواليب مياههم فتتحول دما فيصير الدم في جميع أرض مصر وفي الخشب والحجارة » وفيه ما يخالف ذلك وهو قوله : « فرفع هرون العصا التي في يده فضرب بها ماء النهر تجاه فرعون وأمام عبيده . فتحول جميع ماء النهر فصار دما ومات السمك الذي في النهر، فنتن ماء النهر فلم يقدر أهل مصر علي شرب الماء من النهر فصار الدم في جميع أرض مصر. فعل مثل ذلك سحرة مصر بسحرهم » .

ح ـ وأنت أيها الرشيد تعلم أن في هذين الكلامين اختلافات كثيرة فإن قوله في الكلام الأول : « ارفع يديك »، يخالف قوله في الكلام الثاني : « فرفع هرون العصا » وقوله بصيرورة الدم في الخشب والحجارة ممتنع؛ لأن سياق الكلام يدل على أن الماء تحول دما لاغير. وقوله « فنتن ماء النهر » مردود بقوله : « انقلب دما » وقوله : « ففعل مثل ذلك السحرة بسحرهم » يناقض قوله السابق بأن المياه بأسرها تحولت دما؛ لأن فعل السحرة مشروط بوجود شئ من الماء حتي يخيل للناس أنه تحول دما، . وحيث لا ماء. ففي أي شئ ظهر سحرهم؟ وأيضا قوله : « ففعل مثل ذلك سحرة مصر بسحرهم » يدل علي مساواتهم لموسي في المعجز، حاشاه عن ذلك. وقول التوراة : « فنتن ماء النهر » مردود بقولها بتحويلها دما؛ ومن أين كان في النهر ماء حتي ينتن ماء؟

ط ـ وفيه : « وأكلوا سبعة أيام فطيرا، ومن اليوم الأول فأفنوا الخمير من بيوتكم من أجل أنه من يأكل منكم خميرا تبيد تلك النفس من إسرائيل » ثم كرر هذه الوصية فقال : « كلوا فطيرا في الشهر من أربعة عشر حتي واحد وعشرين إذا أمسيتم، سبعة أيام لا يوجد خمير في بيوتكم من أجل أنه من يأكل الخمير تهلك تلك النفس من جماعة بني إسرائيل » ثم جاء فيه بعد ذلك : « فحمل الشعب عجينهم ولم يختمر» ثم جاء فيه بعد ذلك : « فحمل الشعب عجينهم ولم يختمر»ثم جاء بعد قليل : « وخبزوا العجين الذي خرجوا به من مصر رغيف فطير

لم يختمر لأن أهل مصر أخرجوهم ولم يقدروا أن يخمروا » ومعلوم أن القول قد تقدم بإخلاء البيوت من الخمير، وكلامه ههنا يدل علي وجود الخمير في العجين، غير أن ما صار في الزمان فسحة إلي حين الإختمار، وهذه اختلافات لا يخفي فحشها علي لبيب .

ي ـ ثم جاء بعد ذلك : « ودخل بنو إسرائيل في جوف البحر في اليبس وكان الماء مثل الجبلين عن يمينهم وعن شمالهم » ثم جاء بعده : « وبنو إسرائيل ساروا في البحر كأنهم في اليبس، وكان الماء مثل الحائط عن يمينهم وعن شمالهم » ولا شك أن قول التوراة : « مثلاالجبلين » يخالف قولها« مثل الحائط » .

ك ـ ثم جاء فيه : « وجاء يثرون حمو موسي بامرأة موسي وابنيه إلي البرية التي كان حل فيها، إلي جبل الله، وقيل لموسي : إنّ هوذا يثرون قد جاء وامرأتك وابناك معه فخرج موسي يلتقي يثرون وسجد له وقبله » وكان قد جاء في أوائل هذا السفر ما هذه حكايته : « وقال الله لموسي امض راجعا إلي مصر لأن الرجال الذين كانوا يطلبون نفسك قد هلكوا بأجمعهم فمضي موسي بامرأته وابنيه وحملهم حموه راجعا إلي مصر وبيده عصا الله » ولا ريب أن هذا يقتضي أن يكون موسي قد استصحب امرأته وولديه لما خرج من مصر، فكيف جاء بهم يثرون إليه؟ ومن أين جاء بهم؟

ل ـ ثم جاء في أثناء السنن التي بعد العشر الكلمات في سنَّةَ العبيد ما حكايته : « فليثقب سيده أذنه بالمثقب وليكن له عبدا يعمل إلي الدهر » ومعلوم أن العبد وسيده يموتان عما قليل فكيف يعمل إلي الدهر؟ وعند من ذا يعمل؟ .

م ـ وجاء أيضا : « وإن خدع رجل امرأة عذراء لم تملك فاضطجع معها فليأخذها امرأة » وكان قد سلف القول في أثناء الكلمة السادسة : « لا تزن » .

وســوف يأتي، في مـا بعـد هذا الكلام، الحكم بقـتل الذي يزني. وهذا اختلاف ونسخ معا.

ن ـ ثم جـاء: «ورأي الشـعب أن مـوسي قـد تأخـر أن يهـبط من الجـبل، فاجتمع الشعب إلي هرون وقالوا له: قم فاصنع لنا آلهة يذهبون أمامنا من أجل أن هذا موسي الذي أخرجنا من مصر، لا ندري ما كان منه. فقال لهم هرون: انزعوا الأقرطة التي في آذان نسـائكم وبنيكم وبناتكم فـأتوني بهـا فنزع الشـعب الأقـرطة التي في آذان نسائهم فأتوا بها إلي هرون فأخذها منهم فصيرها لهم في النار وجعل لهم عـجلا سبيكا فقالوا: هذا إلهك يا إسرائيل، الذي أخرجك من أرض مصر» ثم جـاء بعـد هذا عن هرون: «فـقلت لـهم: من كـان له حلي فـيأت بـه، فـأتوا به فألقيته في النار فكان هذاالعجل» وهذاالكلام فيه خبط واختلاف ظاهر؛ لأن في هـذا الفـصل الأول قـيل: إن هـرون قـال: «انزعـوا الأقـرطة الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم» وفي الثاني قيل: «فقلت لهم: من كان له حلي فليأت به» وهذا غيـر القـول الأول. وأيضـا في الأول قـيل: «وجـعل لهـم ـ أي هرون ـ عـجلا سبيكا» وفي الثاني قيل: «فكان هذا العجل» ثم كيف اجتمع الشعب إلي هرون؟ وكيف تهيأ له سماع كلامه كله؟ مع أنه قد قيل في التوراة: إنه ينيف علي ستـمـائة ألف. وكـيف صار عندهم ما شاهدوا من الآيات نسيا منسيا ولـم يكن فيـهـم من العقـلاء ولا عـشر عـشرهم؟ ثـم كـيف سـاغ في عـقل هرون طلب الحلي منهـم من غـيـر أن يعـذلهـم علي قـولـهم ويـذكـرهـم بأن الإله لا يجـوز أن يكون مصنوعا؟

س ـ ثم جاء أيضا: «وكلم الله موسي مقابلة وجها لوجه، كما يتكلم الرجل مع صاحبه» ثم جاء مايخالف ذلك وهو قوله تعاليٰ: «فأترحم علي من أترحم

وأتحنن علي من أتحنن وأُري وجـــهي لمن أريه وأمـــا أنت فلن تســتطيع أن تري وجهي؛ من أجل وجهي؛ من أجل أنه لايري وجهي بشر؛ فيحيا».

ع ـ ثم جاء: «وكانت إذا ارتفعت الغمامة من أعلي القبة يرتحل بنو إسرائيل بكل مرتحلهم، وإذا لم ترفع الغمامة لم يرتحلوا» وجاء في السفر الرابع ما يخالف هذا، وهو قوله : «بكلمة فم الله تعالي يرتحلون وبكلمة فم الله يحلون».

ف ـ ثم جاء فيه :«فكان عدد كل بني إسرائيل لبيت أبيهم من ابن عشرين سنة وما فوق ذلك، كل رجل حامل سلاح ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمس مائة وخمسين رجلا. وبنو لاوي لسبط آبائهم لم يعدوا» وهذا يناقض قوله حيث قال: «كل بني إسرائيل» ثم جاء فيه بعد ذلك: «وكلم الله موسي وقال له: لا سبط لاوي» وهذا الكلام فيه نظر من وجهين: أحدهما: أن العدد قد كان ومضي، والآخر: أن سبط لاوي ما دخل في العدد. علي ماقيل هناك.

ص ـ ثم جاء فيه عقيب الفراغ من ذكر المواريث: «وكلم الله موسي وقال له: اصعد هذاالجبل وهو جبل العبرانيين ثم انظر إلي أرض كنعان التي وهبت لبني إسرائيل فأبصرها ثم الحق بأصحابك كما لحق هرون أخوك» ثم إن موسي تمم هذا السفر والسفر الخامس ولم يمت. ثم جاءت قصة موت موسي في أواخر التوراة بخلاف هذا.

ق ـ ثم إنه قد جاء في فريضة السبت من التلون في الكلام ما تحار من اختلافاته العقول، فإنه جاء في السفر الثاني: «ستة أيام اعمل عملك كله واليوم السابع اسبت لربك ولا تعمل فيه أدني عمل أنت وابنك وبنتك وعبدك وأمتك ودابتك وساكنك الذي في قريتك من أجل أنه في ستة أيام خلق الله السماء والأرض والبحور ومافيها واستراح في اليوم السابع، من أجل ذلك بارك الله اليوم

السابع وطهره » ثم جاء فيه أيضا بعد ذلك : « ستة أيام اعمل عملك وفي اليوم السابع استرح لكي يستريح ثورك وحمارك وتستريح أمتك وساكن قريتك » ثم جاء فيه أيضا : « احفظوا السبت إنه طهر لكم . ومن حله فليقتل قتلا ومن يعمل فيه عملا فلتهلك تلك النفس من شعبها . واعملوا ستة أيام . فأما اليوم السابع فإن السبت راحة . طهر لله ومن يعمل يوم السبت فليقتل قتلا . فليحفظ بنو إسرائيل لله ليعطوا لخلوفهم بميثاق إلي الدهر من أجل أنه في ستة أيام خلق الله السماء والأرض والبحور ومافيهم وفي اليوم السابع سكن واستراح » .

ر ـ ثم جاء أيضا فيه : « ستة أيام اعمل عملك وفي اليوم السابع استرح في المزرع وفي الحصاد » ثم جاء فيه أيضا : « فجمع موسي جماعة بني إسرائيل وقال لهم كل هذا الكلام الذي أوصاه الله تعالي أن تعمل في ستة أيام عملك واليوم السابع يكون طُهْر السبتِ راحةً طاهرة لله وكل من يعمل فيه عملا يقتل، ولا تقبسوا نارا في مساكنكم في يوم السبت » ثم جاء في السفر الثالث : « ستة أيام اعمل العمل واليوم السابع السبت راحة يكون طهرا لله في كل مسكنكم » ثم جاء في السفر الخامس : « احفظ يوم السبت وقدسه كما أمر الله ربك؛ ستة أيام اعمل عملك كله واليوم السابع السبت لله إلهك لا تعمل فيه أدني عمل . أنت وابنك وبنتك وعبدك وأمتك وثورك وحمارك ودوابك كلها وكل من يسكن في مساكنك » .

ش ـ فهذه سبع عبارات في فريضة واحدة . وما من عبارة منها إلا وهي مخالفة للست الباقية . فلو لم يكن في التوراة من الاختلاف غير هذا؛ لكان فيه كفاية، وكيف وفيها مايطول الكلام فيه إلي حد الإسهاب . والعجب العجيب أنه جاء في السفر الرابع ما حكايته : « إذ بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلا يوم السبت يلتقط حطبا فجاؤوا به إلي موسي وهرون وجماعة بني إسرائيل فحبسوه

من أجل أنهم لم يكن تبين لهم مايفعلون به، فقال الله لموسي: قتلا فاقتلوه ولترجمه الجماعة كلها خارجيا عن المحلة. فأخرجوه ورجموه بالحجارة كما أمر الله موسى».

ت - هذا كلام التوراة وفيه أنظار أريد أن أنبه علي بعضها. فأقول: أما قولها: «فحبسوه من أجل أنهم لم يكن تبين لهم مايفعلون به» فهو. مردود بما سلف في السفر الثاني من الحكم بقتل من يعمل عملا في يوم السبت. أما في العبارة الثالثة من السبع العبارات التي نقلتها فمرتين. وأما في العبارة الخامسة فمرة واحدة. فإذاً كيف قيل بعد ذلك في السفر الرابع: «فحبسوه من أجل أنهم لم يتبين لهم ما يفعلون به»؟ أليس أنه قد مضي الحكم بقتل من يحل السبت في ثلاثة مواضع من السفر الثاني؟

ث - فهذا الذي نقلناه وأمثاله يدل علي صدق قول المعترض: أن التوراة كتاب عَزرا وليست كتاب الله. وإنما نقلت منها هذا القدر نيابة عن المعترض ليتنبه القارئ علي ميل المصنف مع الهوي من حيث إنه تغافل عن هذه الاختلافات التي في التوراة، وقال في أثناء كلامه علي ملة النصاري ما حكايته: «وفي أناجيلهم اختلافات كثيرة وقد تعسف علماؤهم في التوفيق بينها».

خ - هذا الكلام هناك. ولو أنصف من نفسه لكانت الاختلافات التي في التوراة قد أشغلته عن ملاحظة اختلافات الأناجيل. وما مثله في ذلك إلا مثل أعمي يعيب أعور أو زمِن يعيب أعرج. ثم قائل النصاري له أن يقول: ليس العجب في اختلافات وقعت في كلام أربعة نفر، هم من أتباع إمام النصاري، بل إنما العجب العجيب في اختلافات وقعت في كتاب إمام اليهود نفسه، مع تفرده بالكلام فيه علي مايزعم اليهود بأسرهم».

قال ابن كمونة:

« ويؤكد هذا: أن الدولة إذاانقرضت، انطمست حقائق أخبارها واندرست آثارها بسبب تتابع الغارات والمصافات وأخراب البلاد. وهذه الأمة قد استولي عليها الكلدانيون والبابليون والفرس واليونان والنصاري والإسلام. وما من هذه الأمم إلا من قصدهم أشدالقصد. وأشد علي اليهود من جميع هذه الممالك ما نالهم من ملوكهم العصاة، فإنهم عبدوا الأصنام وابتنوا لها البيع العظيمة والهياكل وعكف علي عبادتها الملوك ومعظم بني إسرائيل. وتركوا أحكام التوراة وشرعها مددا طويلة وأعصارا متصلة. فإذا كان هذا تواتر الآفات علي شرعهم من قبل ملوكهم، ومنهم أنفسهم، فما ظنك بالآفات المتفننة التي تواترت عليهم من استيلاء الأمم فيما بعد؟ وعندهم في أخبار بعض ملوكهم: أنه أحضر إليه سفر بالتوراة قد وجد في البيت المقدس، فقرأ فيه وأمر بعمل الفِسح. وفي أخبار عزرا: أنه لما قرأ التوراة بمحضر الجماعة ووجدوا فيها عمل الظلال في العيد المختص به وتحريم التزوج بنساء عمّون ومؤاب، عملوا حينئذ الظلال وطلقوا النساء من بني عمون ومؤاب. وهذا دليل علي أن التوراة قد كانت تلفت منهم.

وجوابه:

أن يقال: أما قولهم لم يكن حفظ التوراة فرضا ولا سنة. فالتوراة التي بأيديهم الآن تنطق بخلافه، وكذلك كتب فقههم. فإن قالوا: إن هذه التوراة ليست هي التوراة الحقيقية بل قد حرفت وبدلت، كانوا قد بينوا أنها مبدلة، وهو لغو ودعوي من غير حجة ».

قال ابن المحرومة:

« أقل ما لهم من الحجج: ما نقلناه في الحاشية السابقة علي هذه نيابة عنهم لا شهادة علي النصاري بذلك، لأن النصاري لا يعتقدون تحريف التوراة بل إنما يعتقدون نسخها ».

قال ابن كمونة:

« وبتقدير أن لايكون حفظها فرضا ولا سنة، فلا يقدح ذلك في تواترها؛ لأنها كتاب عظيم عندهم وعنه يأخذون شرعهم، فدواعيهم تقتضي حفظه وضبطه والتناقل به، ولا سيما وهم يتباركون بقراءته ويتعبدون بتعظيمه.

ونحن فنجد الكتب التي يصفها بعض الناس، إذا كانت مما يحسن الظن بها وتكثر الفائدة منها، تنتقل نقلا متواترا إلي مئين من السنين. فما ظنك بكتاب يعتقد أنه كلام الله »؟

قال ابن المحرومة:

« هذا الاعتقاد الفاسد هو من أكبر الدلائل علي إفلاس معتقديه من العقل والفطانة، وعلي أن العاقل لا ينبغي له أن يصدقهم في كل شئ يقولونه. وكيف يكون كلام الله ما هذا حكاية بعضه: « فقالت راحيل لليئا: هبي لي منها ـ أي من ثمرة اليَبْرُوج ـ ويبيت يعقوب عندك الليلة بيبروج ابنك. فلما جاء يعقوب عند المساء من مزرعته خرجت ليئا فتقدمته فقالت له: إليَّ ادخل؛ فإني استأجرتك بيبروج ابني، فبات عندها حينئذ ليلته تلك وانضجع معها فسمع الله منها فحبلت، وولدت ليعقوب ابنا خامسا؟

قال ابن كمونة:

« ولقد ضبطت اليهود التوراة، بل وغيرها من كتب أنبيائهم، ضبطا لم نجده لغيرهم في كتاب من الكتب. فعدوا آياته وكلماته وحروفه، وكل حرف من حروف اللغة فيه وكذا فعلوا في كل سفر منه وفي كل جزء من ذلك السفر، وحتي كل كلمة أو كثير من الكلمات بينوا هل جاء مثلها أم لا؟ وإن كان قد جاء بينوا عدد ما جاء وفي أي موضع؟ وهل هو في وسط الآية أم في أولها أو في آخرها؟ وغير ذلك من الضوابط التي يقع التعجب منها. وقد أفردوا كتبا في ذلك، معروفة

عندهم وربما كتبوا بعض ذلك علي حواشي مصاحفهم وذلك مشهور فيما بينهم».

قال ابن المحرومة:

«من المحتمل أن يكون جميع ما ذكره المصنف ههنا أو بعضه هو من اختراعات المتأخرين من علماء اليهود فلا يجوز تصديقهم لا سيما وقد علمت الذي استشهدنا به عليهم من كتابهم في السالف».

قال ابن كمونة:

«ولهم في كتابة التوراة وغيرها أمور تعبدية لا يعتقلون فائدتها. ينقلونها خلفا عن سلف ويوجبونها تعبدا إلافيما يكتب من المصاحف لتعليم الصغار أو من يجري مجراهم، فإنهم لا يلتزمون بجميع تلك الأمور التعبدية فيها كما يلتزمونه في سفر التوراة الذي يقرأ فيه علي وجه التعبد في مواطن الصلوات وغيرها.

ثم إن اليهود عدة فرق يخالف بعضا بعضا في الفروع ولم يقع بينهم اختلاف في نفس التوراة وكتب نبواتهم، وإن اختلفوا في تأويل مواضع منها. لا في ألفاظها وترتيبها. وذلك كله مما يزيل توهم تبديلها وتحريفها.

فإن قيل: التوراة التي عند النصارى مخالفة لها، والتي عند السامرة مخالفة للنسختين، وهذا يشيد دعوي من ادعي التبديل والتحريف، قلنا: النصاري ليست التوراة عندهم بلغة تنزيلها التي هي العبرانية بل إلي السريانية وصارت عندهم علي نسختين؛ الواحدة منها مثل التي عند اليهود إلاالفاظا اختلف في تفسيرها، فنقلها الناقل إلي اللغة الأخري بحسب رأيه في معناها؛ والنسخة الأخري يسمونها توراة السبعين تخالف في ألفاظ قلائل يختلف بها التاريخ المأخوذ من الأعمار في أوائل التوراة، التي ما لايتفاوت به المعني تفاوتا يعتد به. وما ذاك إلا أن النصاري لايتعبدون بقراءة التوراة وغيرها من كتب النبوات علي

حد تعبد اليهود بها، ولاعلي ما يقاربه، فلهذا وقع عند بعضهم إهمال في النسخ أو في النقل إلي غير لغة التنزيل، كما يقع في كثير من الكتب المصنفة، بسبب إهمال النساخ للمقابلة، أو لغير ذلك. والنسخة التي عند السامرة فكذلك أيضا، وتخالف النسختين بشئ يسير لأنهم في الأصل ما كانوا يتعبدون بها. ثم بعد نقلهم لها من غير ضبط وتحرير رأوا التعبد بها علي تلك الحالة فاستمرت عندهم كذلك».

قال ابن المحرومة:

«لو صح ما نقله المصنف ههنا لكان من بعد أن رأوا التعبد بها والدخول تحت أحكامها طوعا لا كرها قد اعتمدوا علي النسخة التي بأيدي اليهود والمنقولة منها نسختهم وأزالوا هذا الخلاف من البين. والواقع بخلاف ذلك. والظاهر أنهم لو لم يعتقدوا أن نسختهم هي أصح من التي بأيدي اليهود لما كانوا قد تعبدوا بها إلا بعد التصحيح البالغ، وليس فليس».

قال ابن كمونة:

«والنسخ الثلاث بالتوراة ليس فيها من الألفاظ المتخالفة المعني ما يعتد به وهو أقل من الاختلاف الذي يوجد في القراءات السبع للقرآن وقراءة ابن مسعود وأبي وغيرهما بكثير. ومع هذا ففرق اليهود لم يتخالفوا في لفظة واحدة منها ولافي كتب النبوات التي بأيديهم».

قال ابن المحرومة:

«يلزم علي ذلك فساد قول المصنف الذي اعترف فيه بالاختلاف بين نسختي السامرة واليهود، أو أن يكون السامرة غير يهود. وكيف يكون ذلك والمصنف قد اعترف بأن السامرة تتعبد بالتوراة؟ وكل من يتعبد بالتوراة لابد أن يكون يهوديا بلا شك. فإذاً كلام المصنف فيه نقد من وجوه كثيرة».

قال ابن كمونة:

« ومافيها من معجزات موسي عليه السلام ومن ألفاظ التشريع، فلا اختلاف فيه بين الأمم الثلاث، ـ أعني اليهود والسامرة والنصاري.

واتفاق اليهود في البلاد المختلفة علي قصد تغييرها ظاهر الامتناع عند كل ذي لب. ولو جاز ذلك، لما وافقتهم الأمم عليه كالروم والإفرنجة والنبط والأرمن واليونان والقبط والهند والحبشة والعرب والنوبة والسدير والخزر والصقالبة والصين والسودس الذين تنصروا، ولا سيما وكل واحدة من أمتي اليهود والنصاري تفترق إلي مذاهب مختلفة ومتعادية.

فإن قالوا : تبدلت قبل ظهور دين النصرانية وقبل انتشارها هذا الانتشار، قيل: لو كان كذا لكان السيد المسيح والسليحون قدأخبروا بذلك ونهوا عن قراءتها والاعتداد بها والاستشهاد بمافيها وبما في كتب الأنبياء غيرها. ومعلوم من حالهم أن الأمر علي خلاف ذلك. ثم إن النبوة صحبت أهل البيت الثاني مدة أربعين عاما وكانت هذه التوراة بينهم إلي أن جاء السيد المسيح عيسي بن مريم زيادة علي ثلثمائة سنة. وكانت اليهود في طول هذه المدة أيضا أمما كثيرة وفرقا متعددة وعزرا الذي ينسبون إليه تجديدالتوراة بعدذهابها كما زعموا هو من المشهورين بالتعظيم وكثرة الخير والدين وهو الذي يسميه المسلمون بعزيز ويدعون هم وبعض اليهود نبوته، ومن يخالف في نبوته فلا يخالف في عظم شأنه في الدين والخير فلا يتصور في حقه أن يستحل تحريف كتاب الله وتبديله».

قال ابن المحرومة:

« الذي ادعاه المعترض هو تجديد التوراة بعد ذهابها لاتحريفها وتبديلها حال وجودها كما هو مدلول كلام المصنف. أما خيرية عزرا وديانته فلو سلمها المعترض لم يكن له حجة عليه، بل حجة له، لأن له أن يقولَ: إن ديانة عَزْرا وخيريته هي

من أعظم البواعث علي تلفيق كتاب ينوب عن الكتاب الذي ذهب، إشفاقا علي الملة لئلا تضطرب أمورهم وتفسد مصالحهم وتميل قلوبهم إلي متابعة بعض الأمم. وفي هذه الأمور من المحذور؛ أضعاف مافي تلفيق كتاب تنضبط فيه أمورهم إلي أن يبعث الله رسولا يجدد لهم شريعة تغنيهم عن هذا الكتاب الملفق».

قال ابن كمونة:

«وما ذكروه من كون ملوك اليهود عبدوا الأوثان وابتنوا لها البيع فذلك لم يكن منهم عن كفر بالله تعالي ولابالتوراة ولابموسي عليه السلام وإنما كان ذلك، وعلي ماقيل، بسبب تطلبهم لمنافعها العاجلة من طريق الخواص التي يدعيها أرباب الرصد والطلسمات. وكانوا مع ذلك يحافظون علي وظائف الدين وأركانه. وقد كان فضلاء الملوك منهم يهدمون تلك البيع كيلا يعظم غير البيت الذي اختاره الله».

قال ابن المحرومة:

«أقول المصنف: فذلك لم يكن منهم عن كفر بالله تعالي، هو تحكم ودعوي من غير دليل، وتعصب لهؤلاء الملوك الوثنيين، وتغافل عن قول التوراة القائلة عن الله تعالي: «إني أنا إلهك الرب الذي رفعتك من أرض مصر من التعبد، فلا يكن لك إله آخر غيري ولا تصنع لك أدني صنم ولا أدني شبه لا في السماء فوقك ولا في الأرض أسفل منك أو في الماء أسفل من الأرض، ولا تسجد لهن ولا تعبد لهن من أجل أني أنا الله ربك إله غيور».

ب ـ هذا كلام التوراة. فلو كان المصنف يقصد الحق لما كان أقام عذر من خالف هذا الكلام من الملوك المذكورين، ولا كان شهد لهم بأنهم كانوا يحافظون علي الدين. لكنه لشدة ميله مع الهوي وكثرة محبته لأهل الباطل تلطف لهم في

تمهيد العذر الذي هو أقبح من الذنب. فبئس القوم وبئس من يعتبهم علي ما فعلوه لأنهم ما فعلوه إلاعن كفر بالله تعالي.

ج ـ ومصداق ذلك: قول إشعياء النبي القائل: «وبنو إسرائيل الذين اختاروا الأصنام عليّ وعملوا الخبث بين يدي، أعجل خزيهم وأكافئ الشعب الردئ بسوء عمله الفاحش» ويؤيد ذلك: قصة أخاب، فإن إيليَّاء النبي لو لم يتيقن كفر أخاب لما كان قد سأل الله في حبس المطر طول تلك المدة. وأما قول المصنف: «إنما كان ذلك علي ماقيل بسبب تطلبهم لمنافعها العاجلة» فليس بصحيح، لأن المنافع العاجلة تحصل لمن أطاع الله من دون ارتكاب هذا المحذور، علي وظائف الدين وأركانه، فكذبه ظاهر، نعم يجوز أنهم كانوا يتظاهرون بذلك مداراة للناس وتسترا وتمويها».

قال ابن كمونة:

«وهان عند عصاة الملوك ذلك في ذلك الوقت، وإن كان فعله من أكبر الكبائر في الدين».

قال ابن المحرومة:

«شهادته ههنا علي الملوك بأنهم عصاة وبأن الذي فعلوه هو من أكبر الكبائر في الدين، ينافي بسطه عذرهم وشهادته لهم بأن ذلك لم يكن منهم عن كفر بالله تعالي ولابالتوراة».

قال ابن كمونة:

«لكون جميع الملل كانوا يتخذون الصور ويدّعون اتصال الأمر الإلهي بها، ويشنع الآن لارتفاعه من أكثر الملل في زماننا وبلادنا».

قال ابن المحرومة:

« اظن أن المصنف أراد بهـذا الكلام تأكيـد بسط عـذر الملوك الوثنيين. والظاهر أن هذا ذنب آخر زائد علي الذنب الأول. وكيف يجوز لليهودي الإقتداء بغير اليهود في أمر يخالف قواعد ملته ويرجح رأي الملل عليها؟ ».

قال ابن كمونة:

« وأما حديث السفر الذي وجدوه في البيت المقدس فأمر الملك بعمل الفسح فلم يكن ذلك لأنه لم تكن التوراة موجودة حتي وجدت تلك، ولا أن أحكامها نسيت ».

قال ابن المحرومة:

« إن المصنف قد جعل الدعاوي المجردة والتحكمات الباردة دأبه وديدنه في هذا الكتاب بخلاف المعهود في مصنفاته الحِكَمية لأنه تابع فيها نهاه. وفي هذا الكتاب تابع هواه، ولذا ساء بسبب هذا الكتاب مآله من بعد ما حسنت بتلك الكتب حاله. ومن الظاهر أن كلامه ههنا غير كاف في تسكيت الخصم، أما أولا: فلأنه دعوي من غير دليل. وأما ثانيا: فلأن تقدم الملك بعمل الفسح. فيه دلالة علي عدم وجود التوراة يومئذ ونسيان أحكامها كلها أو بعضها، وإلا فأي فائدة كانت في تقدم الملك بعمل الفسح لو لم يكن عمله منسيا؟ ».

قال ابن كمونة:

« وإنما قالوا إنهم وجدوا ذلك السفر مدرجا إلي آية يتطير منها الملك وكلما أدرجوه إلي غيرها وجدوه مدرجا إليها، فعلموا أن ذلك آية وإنذار من الله تعالي. هكذا قيل، ولعل لذلك تأويلا غيره وأما الذين قرأ عزرا عليهم التوراة فتحركوا لتطليق نسائهم من بني عمون وموآب وعمل المظال في العيد الذي يخصها، فهم بعض الأمة ممن خالط أمما أخري، لا كل الأمة. فقد كان في ذلك الزمان أنبياء

وأولياء وعلماء وخلق من فضلاء الهارونيين الذين هم من سبط ليوي وأهل الكنيسة العظمي الناقلين للشريعة والدين. يرجع إلي أحكامها وفتاويهم فيها».

قال ابن المحرومة:

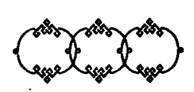
«إن المصنف قد افتتن فى هذا الكتاب بالدعاوي المجردة والتحكمات الباردة إلي حد أن صارت له ملكة وعادة. وإلا فكيف جزم بأن الأمر المذكور مخصوص ببعض الأمة دون الكل؟ وما الدليل علي ذلك؟ وكيف تهيأ لبعض الأمة في زمان الأنبياء والأولياء مخالطة الأمم الأخري ولم يردوهم عن ذلك لابوعظ وتنبيه ولا بمعجز ولا بانتقام بوجه من الوجوه؟ وكيف يسوغ في العقل أن الأنبياء والأولياء والعلماء الذين ذكرهم المصنف ماقرأوا التوراة علي هؤلاء الذين قرأها عليهم عزرا، أو أنهم قرأوها عليهم فما تحركوا لتطليق نسائهم في ذلك الوقت؟ إن هذا لا يتصوره عاقل» ا.هـ

* * *

ونكتفي بهذا القدر. الذي يُعلم منه معني قول الله تعالي في القرآن الكريم:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾.

تم الأمر الأول وهو إحالة النصارى إلي التوراة



الأمر الثاني:

مُحَمَّد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
في
التوراة والإنجيل

من الأحكام الفقهية الشرعية فى شريعة التوراة: أن نبيا سيظهر فى يوم من الأيام لينسخ شريعة التوراة، وليُقيم الدينَ للناس، كما أقامه النبى موسى من قبل. وأنه إذا ظهر هذا« النبى الآتى » يجب على اليهود كلهم أن يسمعوا له ويطيعوا فى كل ما يكلمهم به. وهذا« النبى الآتى » لم يكن قد ظهر فى أى بقعة من بقاع الأرض. إلى زمان المَعْمَدان والمسيح عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ وقد أرسل علماءُ بنى إسرائيل من مدينة « القدس » وفدا من العلماء إلى المعمدان ـ الذى هو النبى يحيى عليه السلام ـ ليسألوه عن « النبى الآتى » هل أنت هو هذا النبى أم ننتظر خلافك؟ وقد أجاب ـ طبقا لرواية يوحنا كاتب الإنجيل الرابع ـ بأنه ليس هو. وحكى القديس بَرْنابا: أن الوفد كان موجها لعيسى عليه السلام لا ليحيى. وأن عيسى صرح أيضا بأنه ليس هو. فمن هو هذا « النبى الآتى » بعد المعمدان وعيسى بن مريم؟

أما اليهود؛ فإنهم يُصرحون فى كتبهم بأن هذا النبى إلى هذا اليوم لم يظهر، ويقولون: وإنه إذاظهر؛ فسيظهر من بنى إسرائيل. وأما النصارى؛ فإنهم يُصرحون فى كتبهم بأن هذا النبى الآتى هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. والحقٌّ: أنه هو محمد رسول الله ﷺ.

وبيان ذلك:

١ ـ فى الأَصحاح الثامن عشر من سفر تثنية الإشتراع، يُحرم الله على اليهود،

ومَنْ يدين بدينهم من الأُمم أن لا يسمعوا لكلام السَّحَرة والمنجمين، وأن يسمعوا من « النبى الآتى » ذلك قولُه:

« تكون كاملا لدى الرب إلهك . إن هؤلاء الأُمم الذين تخلُفهم يسمعون للعائفين والعرَّافين، وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا . يُقيم لك الرب إلهك نبيا . من وسطك . من إخوتك . مثلى . له تسمعون » .

وبيَّن موسى : أن اليهود لما وقفوا بجواره . وهو يسمع كلام الله فى طور سيناء . ومن خوفهم قالوا لموسى : إذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى؛ فلا يكلمنا مباشرة هكذا، بل عن طريق بشر . ونحن نسمع له ونطيع « كلِّمْنا أنت يا موسى . ولا يكلمنا الله لئــلا نموت » وردَّ الله عليهم بقوله : إننى لن أكلمكم عن طريق موسى، بل عن طريق مماثل له . من وسط إخوتكم .

ففى النَّص عن النبى الآتى : « يُقيم لك الرب إلهك نبيا . من وسطك . من إخوتك . مثلى . له تسمعون حسب ما طلبت من الرب إلهك، فى حُوريب يوم الإجتماع قائلا : لا أعودُ أسمعُ صوتَ الربِّ إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا؛ لئلا أموتُ . قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا .

أُقيمُ لهم نبيا . من وسط إخوتهم . مثلك، وأجعلُ كلامى فى فمه؛ فيكلِّمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أنَّ الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أُطالبه . . . الخ » .

وهذا النبى الآتى . هو محمد ﷺ . فإن « من إخوتك » تشمل بنى إسماعيل، وتشمل بنى إسرائيل . لقول التوراة عن إسماعيل : « وأمام جميع إخواته يسكن » . (تكوين ١٦ : ١٢)

والمراد ههنا : بنو إسماعيل؛ لأن الله تعالى طلب من إبراهيم ـ عليه السلام ـ

أن يسير أمامه لدعوة الناس إلى عبادته، ولمحو عبادة الأوثان. فقال إبراهيم لله: وإذا أنا مُتُّ. وأنا الآن لم أنجب ولدا. فمن يمشى من بعدى؟ فبشره بإسماعيل ومن بعده بإسحق. وقال الله تعالى: سأبارك فى إسحق بـ

١ ـ ملوك من نسله على الأمم والشعوب.

٢ ـ ونُبوة تكون من نسله. يُمكِّن لها الملوك من نسله. انظر إلى قول الله عن سارة: «أُباركها. فتكونُ أُمما، وملوكُ شعوب منها يكونون» [تك ١٧: ١٦] وانظر إلى قول الله عن إسماعيل: وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك» أى فى السير أمامك مع الكمال. مثل قول الله لإبراهيم: «أنا الله القدير. سر أمامى، وكن كاملا» (تك ١٧: ١) ورد الله بقوله: «وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه. ها أنا أُباركه». (تك ١٧: ٢٠)

وقد بدأ مُلك بنى إسرائيل من موسى عليه السلام فإنه هو صاحب الشريعة التى التفوا حولها، وجاهدوا بها فى سبيل الله، وترأَّسُوا بها على الناس. وبهم تحققت بركة إسحق عليه السلام. وبدأ مُلك بنى إسماعيل من محمد عليه السلام فإنه هو صاحب الشريعة التى التفوا حولها، وجاهدوا بها فى سبيل الله وترأسوا بها على الناس. فقوه «من إخوتك» نصٌّ فى محمد ﷺ لتبدأ به بركة إسماعيل فى السير أمام الله، كما بدأت بركة إسحق من موسى.

أما قوله «مثلى» فهو نص فى نبى من آل إسماعيل هو محمد. وذلك لأن موسى حدَّد المثلية بالرئاسة وبالحروب والإنتصار على الأعداء. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى قال: لن يظهر مثلى من بنى إسرائيل. وعليه يكون النبى الآتى ليس من اليهود. وإنه يكون من إسماعيل؛ لأن لإسماعيل بركة. والنص على أن النبى الآتى لن يكون من بنى إسرائيل؛ مذكور فى نهاية الأسفار الخمسة.

وقوله : « وأجعل كلامي في فمه » يدل على أنه سيكون أُميا غير قارئ ولا كاتب . ومحمد لم يكن من القراء، ولم يكن من الكتبة . ولذلك قال الله في القرآن الكريم : ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، إذاً لارتاب المبطلون** ﴾ ولو كان هو من القراء والكتبة، لشك أهل الكتاب في نبوته؛ لأن النص عليه في أوصافه : « وأجعل كلامي في فمه » .

ولنكتف بهذه الأوصاف. ثم نقول:

انقسم اليهود إلى طائفتين. طائفة السامريين، وطائفة العبرانيين. وقال السامريون : إن النبي الآتي سيظهر من سبط يوسف عليه السلام من نسل ولده أفرايم. وقال العبرانيون : إنه سيظهر من سبط يهوذا، من نسل ولده داود عليه السلام. وقد أرسل الله يحيى من نسل هرون من سبط لاوى. فهل يكون هو النبي الآتي؟ حسب زعمهم: لا. وحسب نص البركة عن إسماعيل: لا. وآخر نبي فيهم هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام. وقد خلقه الله بلا أب؛ لئلا يدعي اليهود أنه هو النبي الآتي. إذْ ليس هو من يوسف، ولا هو من يهوذا. وأمه مريم هارونية. وهي قريبة لأم يحيى. وإذْ هو بلا أب. ويقول: إن النبي الآتي من بعدي؛ يكون من المؤكد: أنه ليس هو. ويتوجَّب على اليهود ترقُّب النبي الآتي من بعده.

إن الله يعلم أن اليهود أهل مكر وحيلة. وقد أرسل عيسى بلا أب، ليبشر بمحمد ﷺ فإذا أراد العبرانيون قفل باب النبوة؛ لا يقدرون؛ لأنه ليس من سبط يهوذا، وإذا أراد السامريون قفل باب النبوة به؛ لا يقدرون؛ لأنه ليس من سبط يوسف عليه السلام. وعليه. يظل باب النبوة مفتوحا إلى مجئ محمد رسول الله.

وقد علم اليهود أن قفل باب النبوة؛ لا يُجدى. فسكتوا. وزعموا: أن النبي

الآتى لم يأت بعد . وأما النصارى . فإنهم بقوَّة أهل الروم فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م غيروا نسب عيسى من هرون إلى داود، وزعموا أنه هو كان النبى الآتى حسب كلام العبرانيين. وما علمنا أنه هو، إلاَّ من بعد رحيله عن هذه الحياة الدنيا . كيف وهو لم يكن ملكا ولا محاربا ولا منتصرا؟ قالوا : إنه سيأتى للملك فى نهاية الزمان . كيف وعيسى نفسه قد صرح فى الأَصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا : بأنه لن يظهر بعدُ فى العالم؟ قالوا : هكذا نقول .

٢ ـ وقد روى يوحنا فى الأصحاح الأول من إنجيله :

١ ـ أن النور الحقيقى وهو النبى الآتى لم يكن قد أتى إلى زمان المعمدان ويسوع .

٢ ـ وأن النبى الأُمِّى الذى تحدث عنه موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية لم يكن قد أتى بعدُ .

٣ ـ وروى فى الأصحاح السادس : أن عيسى عليه السلام رفض الملك؛ ليدل بالرفض على أنه ليس هو النبى الآتى؛ لأن من أوصاف النبى الآتى أن يسمع له بنو إسرائيل ويطيعون . أى يكون ملكا عليهم، ويكون ناسخا لشريعة موسى .

٤ ـ وروى فى الأَصحاح الرابع : أن المسيح قال للمرأة السامرية : إن النبى الآتى، فى زمانه سينزعُ الله القِبْلة من السامريين والعبرانيين .

٥ ـ وروى فى الأَصحاح الرابع عشر : أن عيسى عليه السلام لقَّب النبى الآتى بلقب « بيركْليت الروح القدس » أى أحمد المصطفى من الله القدوس الطاهر . وغيَّرها النصارى إلى « باركليت » ثم إلى « المُعَزِّى » أى الآتى نائبا عن عيسى عليه السلام . وروى فى الأَصحاح السابع : أن المسيح لن ينزل مرة أخرى إلى الأرض .

٦ - وروى فى الأصحاح السادس: خبر المائدة السماوية. وتحدث عن محمد من بعدها بلقب «ابن الإنسان» وهو اللقب الذى لقبه به النبى دانيئال فى الأصحاح السابع من سفره.

٧ - وفى الأَصحاح السادس: روى عن المسيح اقتباسه آية إِشَعياء التى هى نصٌّ فى محمد ﷺ وهى: «إنه مكتوب فى الأنبياء» أى سفر إشعياء «ويكون الجميع متعلمين من الله» إشارة إلى إلغاء الطقوس من الهارونيين الكهنة، وجعل الدين فى الأمة الجديدة، مع كل فرد، بدل أن كان فى بنى لاوِى وبنى هرون عليه السلام.

النصوص:

أ - «وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين؛ ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم يُنكر وأقر: أنى لست أنا المسيح. فسألوه: إذاً ماذا؟ إيليا أنت؟ فقال: لستُ أنا، أَلنبى أنت؟ فأجاب: لا». (يو ١: ١٩ - ٣١)

انظر إلى سؤال الكهنة الهارونيين له، واللاويين، وهو «ألنبى أنت؟» وانظر إلى إجابته. وهى «لا» تعلم: أنه ليس هو النبى الأمى الآتى إلى العالم.

ب - «قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبى. آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يُسجد فيه؟ قال لها يسوع: يا امرأة صدقينى. إنه تأتى ساعة. لا فى هذا الجبل، ولا فى أورشليم تسجدون للآب». (يو ٤: ١٩ - ٢١)

فقد صرح بنزع القِبْلة من أرض السامريين. وأرض العبرانيين. إلى جهة أخرى. ولو كان هو النبى الآتى - حسب كلام النصارى - لأقرها فى أورشليم قبلة العبرانيين الذين هو منهم.

ج ـ « اعملوا . لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى ، للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم ابن الإنسان ؛ لأن هذا الله الآب قد ختمه ، فقالوا له : ماذا نفعل حتى نعمل أعْمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله : أن تؤمنوا بالذى هو أرسله » . (يو ٦ : ٢٧ ـ ٢٩)

د ـ « كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا . هذا جاء للشهادة ؛ ليشهد للنور ، لكى يؤمن الكل بواسطته ، لم يكن هو النور ، بل ليشهد للنور ؛ كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتيا إلى العالم » . (يو ١ : ٦ ـ ٩)

قوله « كان النور الحقيقى آتيا إلى العالم » يدل على أن النبى الآتى الملقب بالنور لم يكن قد أتى بعدُ . والذى لقبه بالنور هو النبى إشَعياء فى الأصحاح الثانى والأربعين من سفره ، فى قوله : « أنا الرب قد دعوتك بالبِرِّ ؛ فأُمسك بيدك ، وأحفظك وأجعلك عهدا للشعب ، ونورا للأمم » .

هـ ـ « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الآب ، فيعطيكم مُعَزِّيا آخر : ليمكث معكم إلى الأبد . . . » . (يو ١٤ : ١٥)

و ـ « فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع . قالوا : إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم وأما يسوع فإذا علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ؛ ليجعلوه ملكا ؛ انصرف أيضا إلى الجبل وحده » . (يو ٦ : ١٤ ـ ٥١)

ز ـ « ولستُ أنا بعدُ فى العالم » . (يو ٢٧ : ١١)

النبى الأمى فى نظر بطرس

ورُفع المسيحُ إلى السماء ، ولم يقل للحواريين ولا لليهود : إننى أنا ذلك النبى الآتى . ولما رأى النصارى بقوة أهل الروم إنكار نبوة محمد من قبل مجيئه ؛ أجبروا النصارى على إنكاره . فكتب النصارى على لسان بطرس فى سفر أعمال

الرسل: أن بطرس وقف خطيبا فى رواق هيكل سليمان فى «القدس» ووعظ اليهود، وقال لهم: توبوا عن خطاياكم، واعلموا: أن «النبى الآتى» الذى وعد به موسى هو يسوع المسيح. كيف وهو لم يقل، ولم يردْ الملك إلى بنى إسرائيل؟ أجاب بقوله: إنه سينزل لذلك مرة أخرى. ويقول كاتب سفر الأعمال على لسان بطرس: «فتوبوا وارجعوا؛ لتُمحى خطاياكم؛ لكى تأتى أوْقات الفرج من وجه الرب. ويُرسِلَ يسوعَ المسيح المبشرَ به لكم قبل، الذى ينبغى أن السماء تقبله إلى أزمنة ردِّ كل شئ، التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر؛ فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلى سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم. له تسمعون، فى كل ما يكلمكم به، ويكون أنّ كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشَّعب». (أعمال ٣:١٩ ـ ٢٣)

لاحظ: أن الله تعالى هو الذى يُرْسِل. فكيف مع هذا الوضوح يكون يسوع المسيح هو الأقنوم الإلهى الثانى؟ إن الله سيُرسِل. الذى بشركم به موسى من قبل. هكذا يقول على لسان بطرس. فإذاً المسيح رسول. وليس بإله . ولاحظ: أنه أخذ نص التوراة وطبقه على عيسى عليه السلام مع أن عيسى لم يسمع له اليهود ولم يطيعوا، ولم يكن ملكا، ولم ينسخ شريعة موسى، ولم يُهلك من الشعب الذين لم يسمعوا له. وإن كان هو؛ فمتى تتحقق بركة إسماعيل فى الأُمم؟

فالنبى الآتى المكتوب فى التوراة والإنجيل هو محمد ﷺ وهو الملقب بلقب المَسيًّا بحسب لغتهم.

تم التعقيب بالأمرين. ونختم بنص للقراءة من كتاب تنقيح الأبحاث لابن كمونة اليهودى.

وهو فى نقد اليهود لمعتقدات النصارى

نص للقــــراءة

قال الحَبر ابن كمونة عن النصارى:

« قـالوا: نـحن مـؤمنون بكل مـا جـاء فى التـوراة، وفى آثار بنى إسـرائيـــل، والتـى لاندفـع فـــى صــدقـهـا؛ لشهـرتهـا وعـــلانيتـهـا فى الجمـاهير العظام. ونؤمن بأنه فى أُخـريات أمـرهـم وعـقـائبـه؛ تجسَّـمت اللاهوتيـة، وصـارت جنينا فى بطن عـذراء، من أشرف نساء بنى إسرائيل، من نسل داود. أولدته. ناسوتى الظاهر، لا هوتى الباطن. نبيا مرسلا فـى ظاهـره، وإلهـا مـرسلا فـى باطنه. فـهو إنسان تام وإله تام. وذلك هو المسيح. المسمَّى عندهـم بابن الله. والله هو الآب، وهو الابن، وهو روح القدس.

قالوا: نـحن مـوحـدون بالحقيـقـة وإن ظهـر على ألسنتنا التثليث. ونؤمن به وبحلوله فى بنى إسرائيل إجلالا لهم، على ما لم يزل الأمر الإلهى يتصل بهم حتى عصى جمهورهم هذا المسيح وصلبوه، وصار السخط مستمرا على جـمـهـورهم والرضا على الأفراد التابعين للمسيح الذين اختصّ منهم اثنى عشر شخصا كعدة الأسـبـاط من بنى إسـرائيـلَ ثم على الأمم التـابعـين لأولئك الأفـراد. ونحن من بنى إسرائيل، وإن لم نكنْ من ذريتهم. فالأولى أن نكون نحن الذين نتسمى بـ« بنى إسرائيل » لاتباعنا المسيح وأصحابه. وتبع أولائك الأفراد جماعة صاروا كالخميرة لأمة النصارى واستحقوا درجة بنى إسرائيل. وصار لهم الظفر والانتشار فى كثير من البلاد والأمم داعين إلى دين النصرانية، مكلفين العمل به. من تعظيم المسيح، وتعظيم صليبه، وتتبع أحكامه، ووصايا الحواريين أصحابه، وقوانين مأخوذة من التوراة التى نقرأها، ولا مدفع فى حقيقتها، وأنها من عند الله، والذين آمنوا بهذه الدعوة؛ اتبعوها طوعا، عن اختيار منهم ورضىً، من غير أن يُلجؤوا إليها بسيف ولا قهر. واتفق النصَارى على هذه الأمانة بعد اجتماع ثلاث مائة وثمانية عشر نفسا عليها فى زمن قسطنطين الملك. ومعناها هو هذا:

« نؤمن بالإله الواحد ، الآب ، ماسك الكل ، صانع السموات والأرض وكل ما يُرى وما لا يُرى ، وبالواحد الرب أيشوع المسيح ، ابن الله الوحيد ، بكر جميع الخلائق الذى وُلد من أبيه قبل كل العوالم وليس بمصنوع ، نور من نور . إله حقيقى من إله حقيقى ، من جوهر أبيه . الذى به أتقنت العوالم وخلق كل شئ ، الذى لأجلنا ، معشر البشريين ، ولأجل نجاتنا هبط من السماء وتجسم من روح القدس وصار إنسانا ، وحُمل به وولد من مريم البتول وتألم وصلب فى أيام فنطيوس فيلاطوس ودُفن وانبعث لثلاثة أيام ، كما كتب ، وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه . وهو مزمع لأن يأتى ليدين الأموات والأحياء ، وبالواحد روح القدس روح الحق المنبثق من الآب ، الروح المحيى ، وببيعة واحدة مقدسة سليحية جاثليقية .

ونـؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبانبعاث أجسادنا وبالحياة الأبدية .

هذا آخر امانتهم

ولم أجد بين اليعقوبية منهم والنسطورية فيها خلافا فى المعنى . إلا أنى لم أجد فى النسخة التى أخذتها من اليعقوبية « الـذى به أُتقـنت العوالم وخلق كل شى » ووجـدت عوض « كما كتب » : - « كما أراد » . وفيها زيادات لا تنافى هذه العقيـدة . واتفقوا على أن أُقنوم الآب هو الذات وأُقنوم الابن هو الكلمة وهى العلم ، وأنها لم تـزل متولدة من الآب لا على سبيل التناسل بل كتولد ضياء الشمـس من الشمس . وأقنـوم روح القدس هـو الحياة ، وأنها لم تزل فائضة من الآب .

واتفقوا أيضا على اتحاد الكلمة بالسيد المسيح عيسى عليه السلام . واختلفوا فى الاتحاد .

فظاهر قول اليعقوبية إنه بمعنى الممازجة والمخالطة حتى صار منها شئ ثالث كما تمتزج النار بالفحمة فيصير منها جمرة ، والجمرة ليُست نارا خالصة ولا فحمة

خالصة. وجعلوا ذلك بمعنى التركيب الارتباطى، وإن كان من جسمانى وروحانى كحال النفس المجردة والبدن.

فإن أحدهما ارتبط بالآخر حتى صار شخصا واحدا. فقالوا: إن المسيح جوهر من جوهرين وأُقنوم من أُقنومين.

وظاهر قول النسطورية: إن الاتحاد هو على معنى أن الكلمة جعلته هيكلا ومحلا وادَّرعته ادراعا، وكذلك قالوا: إن المسيح جوهران أقنومان.

وقال بعضهم: إن الاتحاد وقع به كما اتحد نقش الفص بالشمع. وصورة الوجه بالمرآة من غير أن يكون قد انتقل النقش من الفص إلى الشمع أو الوجه إلى المرآة.

وبعضهم يقول: اتحاد الكلمة به: هو أن ظهرت ودبُرت على يديه.

فأما الملكانية فإنها قالت: إن المسيح جوهران، أقنوم واحد، لأن الاتحاد وقع بالإنسان الكلى لا الجزئى. والمراد بالأقنوم هو الشخص.

وكل النصارى يؤمنون ببعث الأجساد وبالثواب فى الجنة، ويعبرون عنها بالفردوس، وبالعقاب فى جهنم، إلا أنهم لايقولون إلا بالثواب والعقاب الروحانيين دون الجسمانيين وقالوا: إن الصالحين يصيرون فى ملكوت السماء كالملائكة، أو فى ملكوت الله، ويعتقدون بقاء الأنفس الإنسانية بعد خراب الأجساد بالموت.

وأجمعوا عن آخرهم أن شريعتهم التى شرع بها السيد المسيح وأصحابه لا تنسخ إلى يوم القيامة وعلموا ذلك نقلا عن الحواريين كونهم علموه من رأيهم علما ضروريا، لا ارتياب فيه.

ونقلوا عن المسيح فى الأناجيل الأربعة، أعنى إنجيل متى وإنجيل مَرْقوس وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا، معجزات كثيرة. فإنها تتضمن أنه أحيى ثلاثة موتى:

واحدا قبل أن يجعل فى التابوت، وآخر وهو فى التابوت قبل أن يدفن، وآخر بعد أن دفن بأربعة أيام.

ويوحنا هو الذى ذكر فى إنجيله إحياء الثالث. وفى بعض الأناجيل ذُكر واحد منهم فقط، وفى بعضها: اثنان. ولم يذكروا، فيها عدا إنجيل يوحنا، إحياء المدفون منهم، واتفقوا فيما عداه على إحياء الذى لم يجعل فى التابوت. وإبراء الزمَّن والأبرص، وحول الماء خمرا. وأشبع خمسة آلاف رجل، عداالنسوان والأطفال، من سمكتين وخمسة أرغفة، وأخرج الشياطين من الناس، وكشف أسقاما كثيرة، ومشى على الماء، وغير ذلك من معجزاته عليه السلام وفى الأَناجيل الأربعة اختلاف كثير، قد تعسف علماؤهم للتوفيق بينها. وفيها أمثال كثيرة ومواعظ. وفيها الأمر بمكارم الأخلاق، مثل قوله ما معناه: «إن أنتم كافيتم السيئات بالسيئات فلا أجر لكم عند أَبيكم الذى فى السماء ولا حسنة» ومثل: «إن أنتم غفرتم لبنى البشر سيئاتهم فإن أباكم الذى فى السماء يغفر لكم سيئاتكم وإن لم تغفروا؛ فلا يغفر لكم».

وقد كان بين النصارى اختلاف كثير فى العقيدة. كما أن منهم من أثبت للابن كونا زمانيا وقال: إن الله أحدث الابن وفوض إليه خلق العالم، والباقون قالوا: إنه وُلد من أبيه قبل كل العوالم وليس بمصنوع، كما هو فى الأمانة المتفق عليها، وقد كان لهم اجتماعات كثيرة لإزالة الخلاف بينهم فأحرم فيها بعض المخالفين، وأدَّت إلى سفك دماء كثيرة منهم، ويعرف ذلك من تواريخهم. وتغيير أحكام التوراة كإباحة لحم الخنزير، وترك الختان والغسل، مروى عن الحواريين لا عن السيد المسيح، فإنه لم يزل متمسكا بأحكامها إلى أن قبضت اليهود عليه، وكان يأمر بها وقال: «ما جئت لأنقضها» وحيث أنكروا عليه ما توهموه تفريطا فى بعض أحكامها بين لهم أنه ليس بتفريط وأوضح لهم ذلك مما يقتضيه فقههم

وشرعهم، كما هو مذكور فى الإنجيل. وبقى أصحابه على التمسك بها مدة طويلة إلى أن أظهروا المخالفة لها والإعلان بنسخها، وأنها إنما كان يلزم العمل بها إلى حين ظهور السيد المسيح، لاغير، وأكثر ذلك عن رأى فولوس الرسول.

ومخالفو النصارى لهم أن يقولوا:

إن هذه الأقانيم التى ذكرتموها، إن كان مرادكم بها ذوات ثلاثة قائمة بأنفسها، فبرهان الوحدانية يبطله، وهو أيضا على خلاف معتقدكم فى التوحيد. وإن كان مقصودكم أنها صفات، أو أحدها ذات والباقيتان صفتان، فهلا جعلتم صفة القدرة أقنوما رابعا؟ وكذا سائر ما يوصف به الله تعالى أقانيم؟ فإن قالوا: قدرته هى علمه. قلنا: وحياته أيضا هى علمه، فلم أفردتموها أقنوما؟

فأما الإتحاد فهو غير معقول، لأن الشيئين، إذا اتحدا، فإما أن يكونا موجودين أو معدومين أو أحدهما موجودا والآخر معدوما. فإن كانا موجودين فلم يتحدا لأنهما اثنان لا واحد، وإن كان معدومين فلا يصيران واحدا، بل عدما وحدث ثالث، وإن عدم أحدهما وبقى الآخر، فظاهر أن ذلك ليس باتحاد، فإن فُسِّر الإتحاد بمعنى الممازجة والمخالطة والتركيب، فإن كان الآب والابن ذاتين غيرين بحيث يتحد الابن وحده بالمسيح دون الآب بالمعنى المذكور، فهو يخالف اعتقاد التوحيد. وإن كان الابن صفة، فلا يعقل فى الذات العالمة أن يصير كونها عالمة ممازجة لجسم من الأجسام دون الذات. كما لا يعقل أن يكون زيد ببغداد وكونه عالما بخراسان. ثم علم كل شئ هو قائم به فيلزم أن يكون علم الله تعالى موجودا فيه وفى المسيح دفعة واحدة، فللصفة الواحدة فى الحالة الواحدة موصوفان، وهو محال. فإن لم يكن تعالى عالما حال الاتحاد، كان كونه عالما حكما جائزا فيفتقر إلى مخصص يخصصه، وذلك يخرجه عن الإلهية.

والقول بالامتزاج باطل لأنه لايعقل إلافى الأجسام، والكلمة عندهم

ليست بجسم، فإن قالوا: الممازجة بالتركيب كالانسان الواحد من نفس وبدن؛ فارتباط أحد الشيئين بالآخر لا يعقل إلا باحتياج أحدهما إلى صاحبه، إما مع العكس، كاحتياج النفس إلى البدن باعتبار، واحتياج البدن إليها باعتبار آخر، وإما من غير عكس كاحتياج صورة السرير إلى الخشب وعدم احتياج الخشب إليها. لكن فيما نحن فيه، يمتنع احتياج الجزء اللاهوتى إلى غيره بوجه من الوجوه. ولو كان الاتحاد لاحتياج الجزء الناسوتى إلى اللاهوتى من غير انعكاس؛ لكان مثل هذاالاتحاد حاصلا مع كل المخلوقات، لأن كلها محتاجة فى وجودها وسائر كمالاتها إلى الله تعالى.

وكون الاتحاد كاتحاد نقش الفص بالشمع. إن عُنى به: أن ذات المسيح صارت مِثْلا للبارئ، فهو محال؛ لاستحالة أن يصير الجسم المحدث منزها قديما. وإن عنى به: أنه حصلت له خاصية. لأجلها قدر على ما لم يقدر عليه غيره. فليس يقتضى ذلك كونه إلها وإلا لكان كل من ظهر على يده معجزات منَ الأنبياء إلها، لا سيما مثل معجزات موسى فإنها أعظم بكثير مما يحكى عن معجزات المسيح وأبعد من وقوع الحيلة فيها وأكثر رواة من رواتها؛ فإنّ رواة تلك هى الملل الثلاث ورواة هذه بعضهم. وأيضا فلا يقال لشئ: إنه من جوهر غيره إلا وقد اشتركا في أمر جوهرى وعمهما عموم طبيعة، لا عموم نسبة. فإن لن ينفصل أحدهما عن الآخر بفصل، لم يكن كون الآب مولدا للإبن أولى من العكس. ثم هلاّ ولد الابن ابنا آخر والآخر آخر. هكذا إلى غير النهاية؟ وإن انفصل عنه بفصل جوهرى لزم تركيب البارئ من الجنس والفصل، أو كانت ذات الإبن هى مثل ذات الآب وزيادة. وكل ذلك محال.

ولو كان المراد بقولكم: إن البارئ سبحانه جوهر واحد ثلاثة أقانيم؛ أنه ذات عالمة حية أو ذات عاقلة لنفسها وذاتها معقولة لها. كما يحكى عن يحيى بن

عدى أنه فسر الآب وروح القدس بأن كونه عقلا مجردا هو الآب، وكونه عاقلا لذاته هو الابن وكون ذاته معقولة له فهو روح القدس، فما قلتموه فى أمانتكم التى انفقتم عليها ينافى ذلك، فإن فيها تحقيقا: أن الابن ذات غير ذات الآب، وذات الابن هى التى نزلت وصعدت دون الآب.

ويقال لليعقوبية فى قولهم: إن المسيح جوهر من جوهرين وأقنوم من أقنومين، جوهر لاهوتى وجوهر ناسوتى: إنه إن كان كل واحد من اللاهوتى والناسوتى على حالة لم ينفصل عما كان عليه، فهو قول النسطورية. وإن كان كل واحد منهما قد أبطل الآخر، فقد أقروا ببطلان الإله، ولزمهم أن يكون المسيح لا قديما ولا محدثا، ولا إلها ولاغير إله، إذ قد خرج كل منهما عما كان عليه. وأيضا: فإن العيان يشهد بأن ناسوت المسيح مثل ناسوت غيره، فلا يكون اللاهوت قد أبطله. وعكسه لايجوز. إذ الجزء اللاهوتى هو الذى يؤثر فى غيره، وغيره يمتنع أن يؤثر فيه.

ويقال للنسطورية القائلين بجوهرين وأقنومين: إنهما، إن كانا قديمين، فقد أثبتم قديما رابعا، وهو ناسوت المسيح. وإن كانا محدثين، كنتم قد قلتم بحدوث الابن الذى تزعمون أنه أزلى، وعبدتم ما ليس بإله، لأنكم تعبدون المسيح وهو على هذا القول جوهران محدثان. وإن كان أحدهما قديما والآخر محدثا، كنتم قد عبدتم القديم والمحدث، إذ المسيح الذى تعبدونه؛ مجموعهما ومجموع القديم والمحدث، من حيث هو ذا المجموع، فهو محدث، فيكون قد عبدتم المحدث، من حيث هو محدث، لا يستحق العبادة. فيجب أن تتمحض العبادة للقديم، ولا يبقى للمحدث فى ذلك مدخل. فلا يكون قد عبدتم المجموع لو أخرجتم المحدث عن أن يكون له مدخل فى العبادة، وحينئذ يثبت أن المسيح الذى هو عبارة عن مجموع الأمرين غير مستحق للعبادة، وهو خلاف معتقدكم.

ويقال للملكانية على قولهم: إن المسيح جوهران. أقنوم واحد، وأن الاتحاد وقع بالإنسان الكلى، لا بالجزئى: إن الإنسان الكلى مشترك بين جميع الناس فلو اتحدث الكلمة به لزم أن لا يختص بهذا الاتحاد بعض الناس دون البعض. وأنه باطل. وعلى هذا، فكما لم يكن أقنومين فكذلك لا يكون جوهرين. فجميع مذاهبكم إذاً باطلة.

ثم إن الله أكرم من أن يقال: إنه سكن الرحم فى دنس الحيضة وضيق البطن والظلمة، أو نظرت إليه العيون الجسمانية، أو أصابه سنة أو نوم، أو أحدث فى ثيابه وبال فى فراشه، أو بكى أو ضحك أو أخذه على ما لم يُرد؛ عجز أو سهى أو لحقه خوف أو فزع، أو رغب إلى مافى أيدى الناس، أو سجن، أو هرب، أو يقال: إنه أكل وشرب أو تشبه بأهل الأرض، أو أنه لم يستطع أن يقضى أمره، وهو فى ملكه، حتى نزل على الأرض ليهديهم وينجيهم من الشيطان، وإنه جاء ليهدى الناس من الضلالة ويطهرهم من الخطايا. فعبثت به اليهود وعذبوه وصلبوه وأهانوه، ولبث ثلاثة أيام فى القبر، ثم أى خطيئة كانت قبل المسيح أو بعده أعظم من الخطيئة التى كانت فى زمانه عندكم؟ ونجد الشيطان لم يزل منذ جاء المسيح. كما قد كان قبل مجيئه فى الأذى والإضلال. فإنه فرق دينكم على مذاهب شتى.

فشهد بعضكم على بعض بالضلالة. وقد قُتل الحواريون فى عدة بلاد، وأهانوهم وعذبوهم. ولم يَزَل الظلم والعدوان والقتل والكفر ساريا فى النصارى وغيرهم من الأمم إلى هذه الغاية.

ويقال لهم: إن اتُخذ المسيح إلها، لكونه على رأيكم، من غير والد؛ فآدم وحواء أعجب منه فى ذلك. وكذا أصل كل دابة خلقها الله تعالى، وإن اتُخذ إلها من أجل رفعه إلى السماء؛ فقد رُفع قبله إيلياء النبى بعد ما ظهرت على يده

المعجزات الكثيرة ولم يصبه في بشريته سوء. فلو جازت عبادة البشر لكان أحق بذلك من الذي حُبس وأُهين وعذب وصلب. والملائكة أيضا ما زالوا مرفوعين إلى أن يؤمروا بالنزول. وإن كان ذلك لأنه سُمِّي في الإنجيل ابن الله، فأنتم تقرون أن إسرائيل سماه الله «ابني بكري» وقد سمى السيد المسيح الحواريين إخوته. وفي الإنجيل أيضا: «أحبّوا من أحبكم» إلى قوله: «تكونوا مثل أبي وأبيكم الذي في السماء» وفيه: «إن أنتم كافيتم السيئات بالسيئات فلا أجر لكم عند أبيكم».

وفيه: «إن أنتم غفرتم لبني البشر سيئاتهم فإن أباكم الذي في السماء يغفر لكم».

وإن ادعيت إلهيته من أجل معجزاته فغيره من الأنبياء قد فعل ذلك.

ويقال لهم أيضا: كيف تقولون: إنه تدنس بالخطيئة حتى طهره يحيى بن زكريا؟ ولايمكنكم أن تقولوا: إنه لم يتدنس بخطيئة وإلا لكان التطهير بالماء عبثا.

وكيف شرب الإله الخمر أو أكل السمك والصحناة والصيد أو تعب وكان عرقه يسيل على وجهه من الضعف، أو أنه اختطفه الشيطان فذهب به حيث لا يحب؟ وكيف ذكر في الإنجيل: «أني ما جئت لأنقض التوراة لكن جئت لأتممها»؟ ونقضتم كثيرا منها. وفي إنجيل متى أن جبرئيل جاء إلى مريم فبشرها بولد، ولم يقل لها أبشري أنك سوف تلدين إلها. وكان يوسف، زوج مريم، كما في متى، أنه جاء الملك أي جبريل، وقال ليوسف: اذهب، خذ امرأتك ولا تخف، وفي غير مكان من الإنجيل: أن أيشوع هو ابن يوسف وأقرت مريم أن أيشوع ابن يوسف، فإن يوم وجدانها له في بيت المقدس قالت: أين كنت؟ هو ذا أنا وأبوك في هم شديد من أجلك. وأهلك ناصرة قالوا: أليس هذا ابن النجار وأخواته يعقوب ويهوذا وأخواته مزوجات عندنا؟ وكيف يجوز أن يكون إلها تاما وهو لا يعلم إلا بعض الأشياء، لا كلها، لا سيما، وقد قلتم: إن أقنوم الأبن هو

الكلامة وهى العلم. ودليل عدم علمه ببعض الأمور، الدال ذلك على عدم الاتحاد الذى تدعونه: ما جاء فى إنجيل مرقوس: أنه، لما أخبره بشئ من أهوال الساعة وأشراطها، قال: «إن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعلمها إنسان ولا ملائكة السماء ولا الابن إلا الآب وحده».

وفى الإنجيل: أنه رقد فى السفينة ولم يعلم حتى أيقظه بعضهم. وداود النبى يقول: «هو ذا لا ينام ولا يرقد حافظ إسرائيل». ويقول: «يارب، من يشبهك؟ لا تنم يا عال».

وفى الإنجيل: «من كان فى قلبه مثقال خردلة إيمان يقول للجبال: اتبعينى فتتبعه». ونجد المؤمنين بالمسيح لا يقدر أحدهم على تسيير حجر لطيف ولا شئ غيره.

وفيه ما معناه: «العصفور وجد وكرا يسكنه، ووجد الثعلب جحرا يسكنه. وابن البشر لم يجد مكانا يسكنه» مع أن إشعياء النبى يقول: «إن المسيح يجلس على منبر داود فيقضى بين الناس بعدل الحق».

وقام أيشوع فغسل أرجل الحواريين بالماء وقال: «لم يجئ ابن البشر ليُخْدَم ولكن جاء ليخدم». ولم يدع نفسه إلها تاما قط.

وأما الصليب فاظهرته هيلانى وقسطنطين بعد أيشوع بحدود ثلث مائة سنة، وليس هو فى الإنجيل ولا فى شئ من الكتب.

وقال له رجل: طهرنى. فاجابه: أنا حريص أن أطهرك، إذهب إلى الكاهن. فأره نفسك وقرب قربانا، كما قال الله لموسى فى التوراة. فكيف يتخذ من ليس له سُنَّة بل يحيل على سنة غيره إلها؟ هذا مع أنه قال: «من نظر إلىَّ فقد نظر إلى أبى وأنا وأبى سواء». وقال لتلاميذه: «اجلسوا ههنا حتى أصلى». وقال: «بلغت

نفسى الموت، انتظروا ههنا واستقروا قليلا حتى أصلى » وقال فى صلاته : « يا أبى نجنى إن أمكن وتجوزّ عنى هذه الساعة » وقال لشمعون : « ألا تقدر تسهر معى ساعة واحدة؟ قم، نذهب فإنها قد بلغت الساعة » . وكان قد قال ـ قبل ذلك ـ : « وهذاابن البشر يُسَلَّم فى يدى الخاطئين ويستهزئون به ويبزقون فى وجهه » ومن قبل صام أربعين يوما فى الجبل ليمتحن من الشيطان . يصوم ويصلى ويرغب إلى الله، عز وجل . ثم أصابه الجوع الشديد، كما قال فى الإنجيل : « ولم يزل الشيطان فى طلب أيشوع فوجده فى الجبل وقد تلف جوعا وعطشا . فقال له الشيطان : إن كنت ابن الله، كما تقول فقل لهذا الحجر حتى يكون خبزا تأكل . فقال أيشوع للشيطان : مكتوب فى التوراة ليس على الخبز وحده يحيا ابن البشر، لكن بكلام الله يحيا ابن البشر . فأخذ الشيطان لأيشوع حتى أدخله بيت المقدس وأصعده رأس الهيكل وقال له : إن كنت ابن الله، كما تقول، فارم نفسك إلى أسفل ولا يصيبك شئ من السوء . فقال أيشوع للشيطان : مكتوب فى التوراة : لا تجربوا الله إلهكم . وقال الشيطان لأيشوع : الدنيا وملكها وكل خير فيها لى، اسجد لى وخّر لى على وجهك . فقال أيشوع للشيطان : اذهب يا شيطان، مكتوب فى التوراة : الله ربك خف وإياه اعبد وبه استعن وباسمه احلف . فترى لمن كان يصلى ويصوم إذا كان إلها؟ وكيف يدعى الإلهية من يتلاعب به الشيطان؟

وقد نسبه لوقا إى آدم، ونسبه متى أيضا بنسب مخالف لذلك فى بعض الآباء، وقال فى أول النسب : إنه أيشوع ابن داود بن إبراهيم . وقال فى آخره : إن ناثان أولد يعقوب، ويعقوب أولد يوسف، زوج مريم التى ولد منها أيشوع المدعو المسيح . وأخبر متى أن يوسف لم يعرف مريم إلى أن ولدت ابنها البكر، ويهوذا، أحد أصحابه الاثنى عشر، هو الذى دل اليهود عليه وسلمه إليهم حتى

صلبوه. وأخذ أجرته على ذلك منهم ثلاثين درهما من الورِق. ولو ثبت عنده أنه نبى، فضلا عن أنه إله؛ لما استجاز أن يفعل ذلك لأجل أخذه هذا القدر النزر.

وكان فى جملة تعذيبهم لأيشوع وشهرته، لما أرادوا صلبه، أن غطوا رأسه ووجهه وجعلوا يضربون رأسه بالقصب ويقولون له: تنبأ لنا، أيها المسيح، من ضربك؟ وبعض عبيد عظيم الكهنة لطم وجهه. وتفلوا فيه.

والله تعالى يقول لموسى عليه السلام: «لا يرانى أحد فيعيش». وقال بنو إسرائيل لموسى: «كلمنا أنت، نسمع ونطيع ولا يكلمنا الرب فنموت». فكيف يكون، والحالة هذه، من يلطم وجهه إلها؟

وطاف اليهود بأيشوع يوم الجمعة إلى نصف النهار، وعلى عنقه خشبته التى صلب عليها وجاء شمعون القورينى فحملها عنه ـ بزعمكم ـ ثم ذهبوا به فصلبوه عليها وسقوه الخل وطعنوه بالحربة بعد موته. فقال أيشوع، وهو عليها: «إلهى، إلهى لم تركتنى» ولم يزل مصلوبا حتى سأل فيه يوسف الذى من رامة يهوذا فوُهب له جسده، فدفنه ميتا. وهذا كله ينطق به الإنجيل.

وبزعمكم أن جميع أنفس البشر منذ خلق الله آدم كانت مسجونة حتى مات أيشوع فأُطلقت. وتدخل فى ذلك أنفس جميع الأنبياء والصالحين.

وليس فى الأناجيل ما يدل على أن أيشوع خاطبه الله إلا مرة واحدة، كما جاء فى يوحنا أنه قال المسيح: «يا أيها الاب، مجد اسمك، فجاءه صوت من السماء يقول: مجدت وأيضا أُمجد» فكيف كلم عبده موسى مرارا لا تحصى، ولم يكلم ولده وحبيبه إلاَّ هذه المرة؟

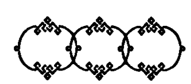
وستر وجه موسى رسوله فلم يستطع أحد أن ينظر إليه من النور، فلم فعل مع ولده ما ينافى ذلك كله وتركه للهوان بين أعدائه؟

وقد جاء فى كتب الأنبياء من علامات «المسيح» وما يكون فى زمانه ما لم يظهر فى أيشوع ولا فى زمانه مثل ما جاء فى كلام بعضهم ما معناه: أنه يضرب الأرض بسوط فيه وبريح شفتيه يميت الخاطئ، وأنه يجلس على منبر داود فيقضى بين الناس بعدل وحق، وأن الحروب ترتفع ولا يرفع أحد على أحد سيفا، وأن الذئب والكبش يربضان معا ويرعيان جميعا وأن الأسد يأكل التبن كالبقر. وهذا إذا كان على ظاهره، فلم يجر ولم يقع فى أيام أيشوع ولا بعده. وإن كان مثلا - وذلك هو الأظهر - فهو مثل لارتفاع الشرور من ا لعالم وزوال العدوان من بين الخلق. ولم يجر فى زمانه إلا خلاف ذلك من زيادة العداوة بين الناس بسبب ظهوره، وارتكابهم الذنوب العظيمة فيه وفى أصحابه.

وجاء أيضا: أنه فى ذلك الوقت يتنبأ البنون والبنات من بنى إسرائيل وأنه يبعث إيلياء النبى فيرد قلوب الآباء على البنين وقلوب البنين على الآباء. وأمثال هذه الأشياء من علامات ظهوره فى كلام الأنبياء كثيرة. وكله لم يظهر منه شئ إلى الآن، والقدر الذى أوردته منها إنما أوردته بمعناه، لا بألفاظه، ولا على ترتيبها فى كتب النبوات.

ثم جميع ما ينقلونه عن السيد المسيح من المعجزات وغيرها فهو عن الأفراد الذين هم أصحابه فلا يكون متواترا ولا موثوقا إليه، وبتقدير صحة النقل فهو غير بعيد فى العقل أن يكون واقعا بالحيل أو بالمواطأة عليه. وإذا لم يثبت صحة نقلهم لم يتحقق ما ادعوه من كونهم علموا بالضرورة من رأى الحواريين والسيد المسيح أن شريعتهم لا تنسخ.

«فهذا ما رأيت أن أذكره من المطاعن عليهم» ا. هـ



فهرس الكتاب

الموضـــوع **الصفـــحة**

